المستشرق برنارد لويس
ومنهجه في دراسة التاريخ الإسلامي

إعداد

دكتور/ صبحي عبد المنعم محمد

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

المساعد بكلية دار العلوم - جامعة الفيوم

مجلة كلية دار العلوم العدد الثالث عشر يونيو ٢٠٠٥

المستشرق برنارد لويس ومنهجه في دراسة التاريخ الإسلامي

دكتور/صبحي عبد المنعم محمد
أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
المساعد بكلية دار العلوم – جامعة الفيوم

تقديم

يعد الاستشراق فرعا من فروع المعرفة في الثقافة الغربية موضوعه الشرق[١]وكلمة مستشرق تطلق على كل باحث يشتغل بدراسة الشرق ولغاته وآدابه وحضارته، وأديانه[٢].

وتاريخ الاستشراق قديم يعود إلى القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي مع صدور قرار مجمع "فينا"الكنسي بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية وغيرها من اللغات في عدد من الجامعات الأوربية[٣].

ومع أن الاستشراق بدأ بدراسة اللغة العربية والإسلام، إلا انه بعد التوسع الاستعماري الغربي اتجه إلى دراسة العلوم والفنون والآداب والديانات والتاريخ، وكل ما يخص شعوب الشرق مثل الهند وإيران والصين واليابان، والعالم العربي، وغيرهم من أمم الشرق[٤]،وأن كانت العناية بالإسلام والحضارة الإسلامية والآداب العربية هي أهم ما يبحث فيه المستشرقون[٥]،وإذا كان الاستشراق قد بدأ بدراسة

---

١ – أحمد عبد الرحيم السايح:الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي ص٥ ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م

٢–محمد إبراهيم حسن:الاستشراق وأثره على الثقافة العربية، مجلة رسالة الخليج العربي العدد الثالث والعشرون – السنة الثامنة ص٣٥

٣–علي بن إبراهيم الحمد النملة: الاستشراق والدراسات الإسلامية – مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدر يتهم ص٦٩ ، مكتبة التوبة ، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٤–عفاف صبره:المستشرقون ومشكلات الحضارة ص٩ – دار النهضة العربية للطبع والنشر والتوزيع سنة ١٩٨٥م.

٥–مصطفى السباعي:الاستشراق والمستشرقون(مالهم وما عليهم)ص١٩ الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م دار الوراق للنشر والتوزيع ، بيروت.

اللغة العربية والإسلام[١] فإن الدافع لذلك لم يكن دافعا علميا خالصا لدى جمهرة المستشرقين لأن من طبيعة الدافع العلمي أن يكون نزيها عادلا يسعى لاستجلاء الحقيقة بتجرد وصدق وإنصاف.

ومعظم المستشرقين لم يحرصوا على الحقيقة، بل حاولوا تشويهها بباعث من التعصب العميق الجذور الذي يعود إلى النزعة العدوانية الحاقدة التي دفعت الأوربيين إلى الحروب الصليبية[٢].ففي ميدان البحث العلمي الصادق يتخلص الباحث من كل هوى أو ميل شخصي فيما يريد البحث عنه، ويتابع النصوص والمراجع الموثوق بها، وما ينتهي إليه بعد المقارنة والتمحيص يكون هو النتيجة النهائية المحتمة التي ينبغي عليه اعتقادها، لكن معظم هؤلاء المستشرقين يضعون نصب أعينهم فكرة معينة يريدون اقتناص الأدلة لتأكيدها، وحين يبحثون عن هذه الأدلة لا يهتمون بصحتها بمقدار ما يهمهم إمكان الاستفادة منها لدعم أرائهم الشخصية[٣].فالمستشرقون منذ ظهورهم وضعوا أنفسهم في خدمة الأهداف المشبوهة التي تسعى لإذابة المسلمين، والعمل من أجل انسلاخهم عن شخصيتهم الإسلامية.

وأخذت مدارس الاستشراق تعد التقارير والدراسات لكل ما هو إسلامي ويتصل بالمسلمين، وتضع كل ذلك أمام المعاهد الصليبية والصهيونية ليكون القرار السياسي الذي يتخذ تجاه القضايا الإسلامية قائما على ما جاء بها[٤].

ولم يترك المستشرقون وسيلة لنشر أبحاثهم وبث آرائهم إلا سلكوها، ومنها تأليف الكتب في موضوعات شتى عن الإسلام واتجاهاته، ورسوله وقرآنه، وفي معظمها الكثير من التحريف المتعمد في نقل النصوص أو بترها، وفي فهم الوقائع التاريخية والاستنتاج منها، وإصدار المجلات الخاصة التي تمتلئ ببحوثهم حول الإسلام وبلاده وشعوبه،

---

١ - عمر عوده الخطيب: لمحات في الثقافة ص٥، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م. الإسلامية ص١٨٩ طبعة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م مؤسسة الرسالة ، بيروت.

٢ - عمر عوده الخطيب: لمحات في الثقافة الإسلامية ص١٩٠ - ١٩١.

٣ - مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون ص٣٥.

٤ - احمد عبد الرحيم: الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي ص٥.

بالإضافة إلى إلقاء المحاضرات في الجامعات، والجمعيات العلمية وكتابة المقـالات فـي الصحف وعقد المؤتمرات لإحكام خططهم[١].

التي تسعى إلى السيطرة على العالم الإسلامي وفكره وثقافته وحضارته[٢]،ولـذا أقبل اليهود أيضا على العمل في الاستشراق ووجدوا في مجالاته بابا ينفثون منه سمومهم ضد الإسلام والمسلمين فدخلوا فيه مستخفين تحت رداء العلم، كما وجدوا في الصـهيونية بابا آخر يحاولون منه السيطرة على العرب والمسلمين[٣].

وما انفك اليهود يوظفون الأحقاد الكامنة في لا شعور الغـربيين علـى الإسـلام والمسلمين تحقيقا لأغراضهم ومخططاتهم، خصوصا أنهم يدركون أن خيـال الحـروب الصليبية لا يزال في مخيلة الغرب إلى يومنا هذا بصورة أو بأخرى[٤].

وانطلق اليهود في دول العالم الغربي يمارسون أدوارهم باعتبـارهم غـربيين لا يهودا، وهذا التستر بعباءة الغرب استفاد منه اليهود كثيرا في خدمة قضايا الصهيونية مع تقديمها في قالب غربي لضمان القبول لها حتى في أوساط العرب والمسلمين مستغلين في ذلك عقدة النقص الشرقية تجاه الغرب[٥]،كما أنهم استفادوا أيضا من وراء تسترهم بالغرب في عدم ظهورهم بشكل مستقل يعرضهم للهجوم المباشر ويجعلهم عرضة للمحاربة حتى من قبل الغربيين أنفسهم ولذا فضل المستشرقون اليهود العمل في فلك الغـرب الأوربـي ومن هؤلاء المستشرقين برنارد لويس الذي نعرض له في هذا البحث [٦].

---

١ - مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون ص٣٣.

٢ - أبو الحسـن النـدوي: مقـالات وبحـوث حـول الاستشـراق والمستشـرقين ص١٦ الطبعـة الأولى١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م إعداد سيد عبد الماجد الغوري - دار ابن كثير للنشر والتوزيع.

٣ - محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية ص٤٩ - كتاب الأمة قطر ١٤٠٤هـ.

٤ - محمد البشير مغلي: مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب ص٢٥٧-٢٥٨ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض - الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٥ - محمد فتح الله الزيادي: الاستشراق - أهدافه ووسائله ص٩٥ - ٩٦ ، دار قتيبة للطباعة والنشر - دمشق - بيروت، الطبعة الثانية ٢٠٠٢م.

٦ -المرجع السابق.

وكنت قد ألتقيتُ في صيف سنة ١٩٧٥م بالمستشرق برنارد لويس الذي حـلّ ضـيفا على الدكتور محمد حلمي محمد احمد أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية دار العلوم ، جامعـة القاهرة- حيث كان أحد الدارسين على يديه في جامعة لندن، وتم الاحتفاء بالضيف فـي مبنى كلية دار العلوم العتيق بحي المنيرة، وألقى كلمة موجزة عن منهجية البحث التاريخي ثم جلس بيننا نحن طلاب الدراسات العليا- آنذاك- يستمع لنا، واقترب مني وسألني عـن المقالات التي كانت تصدرها جريدة الأهرام تحت عنوان "بصراحة"للكاتب الصحفي محمد حسنين هيكل في عـام ١٩٧٣م والتـي عنـون لهـا تحـت مسـمى "حالـة اللاسلم واللاحرب"فأخبرته بأنني اقرأها فسألني:هل كان محمد حسنين هيكل يعلم بخبر الحـرب التي كانت مصر تعدها، وأنه اشترك مع الرئيس المصري أنور السادات في التعمية على إسرائيل ؟ فأجبته بأن هيكل قد اختلف مع السادات بعد تركه للوزارة، ولا أظنه كان يعلم بخبر الحرب فطأطأ رأسه وصمت، وبدا عليه عدم الاقتناع بما قلته له.

ولما أتى الدكتور محمد حلمي -رحمه الله - وسألني عن حديث برنارد لويس معـي أخبرته بما دار بيننا، فقلتُ له:يبدو أنه يميل لليهود، فأجابني:بأنه فعلا يهودي ولـم أدرك في تلك الفترة مضمون ما ذكره أستاذي إلا بعد أن أنهيتُ دراساتي العليا، وقرأتُ لعدد من المستشرقين، ووجدتُ البعض منهم يكتب تاريخنا منطلقا من التشكيك والرفض العشوائي والاعتماد على الروايات الضعيفة التي رفضها النقـاد البـاحثون واسـتغربها العلمـاء المطلعون ومعظم هؤلاء المستشرقين من اليهود، ومنهم برنارد لويس، فقررت أن اكتـب عن هذا المستشرق اليهودي ومنهجه في دراسة التاريخ الإسلامي .

وقد قسمتُ الموضوع إلى خمسة مباحث تسبقها مقدمة وتتلوها خاتمة على النحو التالي :المقدمة وتناولت فيها نشأة الاستشراق ومناهج المستشرقين في دراسة التاريخ الإسلامي والدور اليهودي في الاستشراق، المبحث الأول وفيه عرضتُ: نشأة برنارد لويس وتكوينه ودراساته ووظائفه، والمبحث الثاني أبرزتُ فيه مؤلفات برنـارد لـويس فـي التـاريخ الإسلامي ومؤلفاته الأخرى، المبحث الثالث وأوضحتُ فيه إسهاماته العلمية التي شـملت

إلقاء المحاضرات العامة والاشتراك في المؤتمرات والندوات وكتابة المقالات والإشراف على الرسائل العلمية، والمبحث الرابع وعرضتُ فيه منهج برنارد في دراسة التاريخ الإسلامي من حيث الاطلاع على المصادر والمؤلفات السابقة ونفيه للوثائق في التاريخ الإسلامي واستشهاده بالقران الكريم والحديث الشريف بما يؤيد وجهة نظره ، المبحث الخامس وبينتُ فيه منهج النقد التاريخي عند برنارد لويس، الخاتمة وفيها يسجل البحث أهم النتائج التي توصل إليها والقضايا التي أشتمل عليها.

وكان التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية من أهم الموضوعات التي شغلت أذهان المستشرقين، وبذلوا فيها كثيرا من الجهد الدءوب والعمل المستمر لدراستها ومناقشتها وتحليلها[١]،لأنهم كانوا يدركون الأهمية الواضحة للتاريخ في بناء الأمم وتنشئة الأفراد فسعوا سعيا حثيثا إلى إفساد هذه الغاية، وذلك ببعث الجوانب المضطربة والروايات الضعيفه وصور التناقض والخصومة، وهم يهدفون بذلك إلى تشويه التاريخ الإسلامي[٢]،وقد اتسمت الدراسات الاستشراقية بوجه عام واليهودية بوجه خاص بعدة سمات جعلتها تبعد الحقائق العلمية والثمرات الحضارية التي خلفها خلفاء المسلمين وقادتهم وكبار رجالهم ومن هذه السمات ما يلي:

- تركيزهم على فترات الخلاف بين المسلمين دون غيرها من الفترات الكبيرة المزدهرة[٣]،من أجل أن يؤكدوا أن التاريخ الإسلامي بفتراته المتصلة لم يكن إلا أحداث نزاع وقتل وتنافس على السلطة، وهدفهم من وراء ذلك إظهار المسلمين في صورة فرق متناحرة مختلفة لا ترابط بينها، وإنهم لا يمثلون أمة موحدة عبر التاريخ ولا يمكن أن يعيدوا الدور الذي بدأه أجدادهم العظام[٤].

---

١ - عفاف صبره: المستشرقون ومشكلات الحضارة ص٣.

٢ - محمد البشير مغلي: مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب ص٢٥٦- ٢٥٧

٣- المرجع السابق.

٤ - عبد القهار داود عبد الله العاني: الاستشراق والدراسات الإسلامية ص١٣- دار الفرقان للنشر والتوزيع – عمان – الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

- تضخيم دور حركات الغلو والتطرف ومنها الإسماعيلية والقرامطة والبهائية وغيرها وإبرازها على أنها تمثل حركة الحرية والديمقراطية[١] في مواجهة آراء أهل السنة والجماعة .
- عدم ذكر المصادر والمراجع العربية في كثير من الأحيان فيقولون : يذكر بعض العلماء أو قال ذلك بعض الباحثين أو المفكرين دون أن يشار إلى نماذج منهم ، ومثل هذا المنهج يفقد صفة العلمية لأنه يفقد الدقة ، بل ويغفل الحقيقة ويميل إلى المراوغة ، وهذا صفات وسمات تهدم أساس البحث العلمي[٢] ، بالإضافة إلى أنهم يتوارثون آراء معينة ينقلها أحدهم عن الآخر دون مراجعة أو تدقيق [٣].
- يكثر في منهج الاستشراق التعبير عن الحقائق التاريخية والدينية بصيغ الشك أو الظن ، ولذلك تكثر في أبحاثهم كلمة من الممكن وأظن ، ويبدو ولعل إلى غير ذلك من تعبيرات عدم اليقين والظن[٤] .
- سعيهم لإثارة العنصرية وتعميقها بين العرب والبربر والأتراك والفرس من أجل إضعاف روح الإخاء الإسلامي ، وإبرازهم لدور الأقليات غير المسلمة وتحريكها للثورة على المسلمين [٥].
- محاولة تفسير الأحداث التاريخية تفسيرا ماديا بعيدا عن النزعة الروحية المخلصة التى يتسم بها قادة العرب والمسلمين في الفتح الإسلامى [٦].
- تشكيكهم في التراث الحضاري الإسلامي بدعوى أنه منقول ومترجم عن الحضارة الهلينية [٧].

---

(١) المرجع السابق .

(٢) محمد فتح الله الزيادي : منهج البحث الاستشراقي ص١٢١.

(٣) المرجع السابق ص١٢٠.

(٤) المرجع السابق ص١٢٣.

(٥) محمد البشير مغلي : مناهج البحث في الإسلاميات لدي المستشرقين وعلماء الغرب ص٢٥٧.

(٦) عبد القهار داود عبد الله العاني : الاستشراق والدراسات الإسلامية ص١٣٠.

(٧) محمد البشير مغلي : مناهج البحث في الإسلاميات لدي المستشرقين وعلماء الغرب ص٢٥٧.

والحقيقة أن هذا المنهج الذي اتبعه المستشرقون في الكتابة عن تاريخنا الإسلامي يدفع كل باحث مسلم واعٍ إلى النظر في كتابات هؤلاء المستشرقين وإخضاعها للبحث والدراسة حتى يكشف النقاب عن حقيقة الأغراض التي دفعت هؤلاء المستشرقين إلى الكتابة عن الإسلام ويرفع الشبهات التي يحاولون بها الإساءة إلى الإسلام وتشويه تاريخه ودس الدسائس والأباطيل عليه[1]،لذا اتجه هذا البحث إلى الحديث عن المستشرق اليهودي برنارد لويس ومنهجه في دراسة التاريخ الإسلامي.

---

[1] - عفاف صبره:المستشرقون ومشكلات الحضارة ص٣.

المبحث الأول

برنارد لويس، نشأته وتكوينه

ولد برنارد لويس في لندن عاصمة بريطانيا في مايو سنة ١٩١٦م لعائلة يهودية ثرية، ولم يأت أحد على ذكر طفولته أو عائلته، ويبدو أنها اتجهت إلى بريطانيا في القرن الثالث عشر الهجري التاسع/عشر الميلادي ولعل التحاقه بجامعة لندن في أوائل الثلاثينات يوحي بانتمائه إلى أسرة ثرية، فحصل على درجة الليسانس الممتازة في التاريخ من مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن سنة ١٩٣٦م[1]،وفي سنة ١٩٣٨م عين مدرسا مساعدا بمدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية واتجه إلى باريس حيث تتلمذ على ماسينيون الذي كان يعني خاصة بتاريخ الفرق الإسلامية والتصوف[2]،ثم واصل برنارد دراسته العليا على يد المستشرق هاملتون جب[3]

---

١ - برنارد لويس:الإسلام وأزمة العصر - ترجمة أحمد هيكل - تقديم ودراسة رءوف عباس ص١٠ مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٤م مكتبة الأسرة.

٢ - لويس ماسينيون(١٨٨٣- ١٩٦٢م)مستشرق فرنسي بارز ولد في يوليو ١٨٨٣م في إحدى ضواحي باريس، وقضى دراسته الثانوية في ليسيه لوجران ثم التحق بالمدرسة الوطنية الشرقية الحية وهي التي تخرج فيها أجيال متلاحقة من المستشرقين الفرنسيين والأجانب وحصل على البكالوريا في أكتوبر ١٩٠٠م قسم الآداب والفلسفة وعلي البكالوريا قسم الرياضيات سنة ١٩٠١م وتابع درا ستة الجامعية فحصل على ليسانس الآداب ١٩٠٢م ثم درس اللغة العربية في المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية وحصل منها ١٩٠٦م على دبلوم في اللغة العربية والعامية ومن ثم بدأ حياته الاستشراقية فاشترك في المؤتمر الدولي الرابع عشر للمستشرقين ثم المؤتمر الخامس عشر في كوبنهاجن وبعد الحرب العالمية الأولى عين أستاذا في الكوليج دي فرا نس كرسي الإسلام من الناحية الاجتماعية ثم نوقشت رسالته للدكتوراه في الفلسفة الإسلامية عن الحلاج سنة ١٩٢٢م وله عدة مؤلفات تدور كلها حول التصوف أو الشيعة وما يقرب منها من مذاهب وقد توفي ماسينيون في ١٣ أكتوبر ١٩٦٢م. (انظر: عبد الحميد صالح حمدان:طبقات المستشرقين ص١٩٠ - ١٩٣ - مكتبة مدبولي - القاهرة - بدون تاريخ).

٣ - هاملتون جب (١٨٩٥- ١٩٧١م) مستشرق إنجليزي ولد في مدينة الإسكندرية بمصر سنة ١٨٩٥م وتوفي بأكسفورد سنة ١٩٧١ تلقى علومه في جامعة أد نبره حيث تخصص في اللغات العربية والعبرية والآرامية وفي سنة ١٩٢٢ حصل على درجة الماجستير من جامعة لندن ثم عين سنة ١٩٣٠بلقب reader في تاريخ العرب والأدب العربي بجامعة لندن ولما توفي توماس أرنولد خلفه على كرسي=

حتى نال الدكتوراه سنة ١٩٣٩م، وحصوله على هذه الدرجة العلمية وعمره لم يتجاوز الثالثة والعشرين أحد أدلة عبقريته، وليس هذا فحسب، بل إنه كان يجيد عددا من اللغات بالإضافة إلى الإنجليزية بينها العربية والتركية والفارسية والعبرية وهو لا يزال شابا[١]،وعقب حصوله على الدكتوراه عُيّن بمدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية غير أنه ترك العمل بالجامعة خلال سنوات الحرب (١٩٤٠- ١٩٤٥م)[٢]،ليلتحق بخدمة الجيش البريطاني لأداء الخدمة العسكرية، ولكن أعيرت خدماته إلى وزارة الخارجية البريطانية، وقيل إنه عمل في سلك الاستخبارات العسكرية، وليس في تعليم اللغة العربية للضباط كما يزعم هو[٣]،وعاد للعمل بالجامعة لكن صلته بالمخابرات البريطانية ووزارة الخارجية البريطانية لم تنقطع فقد ظل مصدرا مهما يتم الرجوع إليه طلبا للمشورة في كل ما يختص بشئون الشرق الأوسط [٤].

وبعد غروب شمس النفوذ البريطاني عن الشرق الأوسط واضطرار بريطانيا إلى تنفيذ سياسة الانسحاب نتيجة ازدياد حركات التحرر في العالم العربي والإسلامي لينسدل الستار على النفوذ البريطاني في المنطقة، وتصبح الولايات المتحدة الأمريكية الوريث الطبيعي للمصالح الغربية الاستعمارية، اكتشف برنارد لويس أن وجوده في بريطانيا لم

=اللغة العربية في الجامعة وانتقل إلى جامعة أكسفورد ١٩٣٧ م وتوفي ١٩٧١م وله عدة مؤلفات أهمها:المجتمع الإسلامي والغرب – تفسير للتاريخ الإسلامي – دراسات حول الحضارة الإسلامية الأهمية الاجتماعية للشعوبية – تطور نظام الحكم في أوائل الإسلام – كتابة السير في الإسلام المحمدية- الاتجاهات الحديثة في الإسلام – ترجمة رحلة ابن بطوطة في ثلاثة أجزاء (انظر:عبد الحميد صالح حمدان: طبقات المستشرقين ص١١١- ١١٢).

١ - برنارد لويس- مقال لأبي زيد عمر- مجلة العصر – العدد الصادر في ٢٠٠٥/١١/٢٧ م ص٣.

٢ - برنارد لويس: الإسلام وأزمة العصر ص١٠.

٣ - مازن بن صلاح مطبقاني: الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام ص٨٢ دار اشبيليا للنشر والتوزيع بالرياض.

٤ - برنارد لويس: الإسلام وأزمة العصر ص١٠.

يعد له جدوى[1]،ووجد أن مكانه الطبيعي يجب أن يكون في الولايات المتحدة حيث مركز مركز التأثير في صناعة القرار الغربي في الشرق الأوسط[2].

وهو اليهودي الذي ظهرت صهيونيته كحقيقة لا مراء فيها، أكدها في كتاباته، ومقالاته الصحفية، وأحاديثه الإذاعية المسموعة والمرئية، ومحاضراته العامة[3]، بل إن درجتين من بين درجات الدكتوراه الفخرية الثماني التي حصل عليها جاءته من إسرائيل، وتحرص الجامعة العبرية بالقدس على الاحتفال بعيد ميلاده أثناء الاحتفال بقيام الدولة العبرية ويحرص برنارد على حضور هذا الاحتفال سنويا ويعده مناسبة عزيزة على قلبه[4].

وقد عمل برنارد في جامعة برنستون وهي واحدة من كبريات الجامعات الأمريكية الثماني التي تضم إلى جانب برنستون جامعات براون، كولومبيا، كورنيل، دارتموث هارفارد، بنسلفانيا وبال[5]،وظل أستاذا للتاريخ الإسلامي في قسم دراسات الشرق الأدنى ابتداء من شهر سبتمبر سنة ١٩٧٤م وصار مواطنا أمريكيا بعد حصوله على الجنسية الأمريكية سنة ١٩٨٢م[6]،وفي جامعة برنستون أعيدت ترجمة كتاب"أجناس جولد تسيهر"[7] المسمى"العقيدة والشريعة في

---

١ - المرجع السابق ص١١.

٢ - مازن بن صلاح مطبقاني: الأستشراق المعاصر في منظور الإسلام ص٨٢.

٣ - برنارد لويس: الإسلام وأزمة العصر ص١١.

٤ - المرجع السابق.

٥ - السيرة الذاتية لبرنارد لويس - مقال- خليل الصغير في مجلة مدارات غربية العدد الرابع- الأحد ٢٦ديسمبر ٢٠٠٤م ص٧.

٦ -مازن بن صلاح مطبقاني: الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس ص ٧٠- الرياض ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٧ - أجناس جولد تسيهر(١٨٥٠- ١٩٢١م)مستشرق يهودي ولد سنة ١٨٥٠م في المجر من أسرة يهوديه، حصل على الدكتوراه ثم عُيِّن في جامعة بودابست واهتم بالدراسات العربية والإسلامية إلى أن صار أستاذا للغات السامية في ١٨٩٤م ومنذ ذلك الحين وهو لا يكاد يغادر وطنه إلا لكي يشترك في مؤتمرات المستشرقين أو لكي يلقي محاضرات في الجامعات الأجنبية استجابة لدعوتها إياه، وقد أرسلته وزارة المعارف المجرية في بعثة دراسية إلى الخارج فذهب إلى فيينا، وليدن، ثم ارتحل إلى الشرق العربي فأقام بالقاهرة فترة استطاع خلالها حضور بعض الدروس في الأزهر ثم سافر إلى=

الإسلام"[1]،وقدم له وكتب حواشيه برنارد لويس الذي يبدو أنه كان متأثرا به وبغيره من المستشرقين اليهود في أوربا حيث ردد في كتبه ومقالاته كثيرا من شبها تهم وافترا اتهم على الإسلام، بل إنه كان متأثرا أيضا بيهود يته فكتاباته تظهر خلفيته اليهودية وعمق تأثيرها فيه، حيث تغلب عليه النظرة اليهودية التي جعلته يوجه تخصصه في التاريخ الإسلامي لخدمة الدراسات اليهودية والبحث في الموضوعات التي تخص اليهود في العالم الإسلامي[2].

واستمر برنارد لويس أستاذا لدراسات الشرق الأدنى بجامعة برنستون حتى تقاعد في سنة ١٩٨٦م عند بلوغه سن السبعين[3]،ونتيجة لتوجهاته اليهودية عين مديرًا لمعهد أنتبرج للدراسات اليهودية ودراسات الشرق الأدنى، وهو معهد يهودي يقوم فيه الباحثون بإعداد دراسات بعد حصولهم على الدكتوراه في مدينة فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا الأمريكية وما زال يتوّلى رئاسة هذا المعهد حتى الآن[4].

=سوريا وفلسطين وفي سوريا تعرف بالشيخ طاهر الجزائري وترجم كتابه (توجيه النظر إلى علم الأثر)إلى الألمانية، وحينما توفي ١٩٢١م اهديت مكتبته بعد وفاته إلى الجامعة العبرية بفلسطين وتعد أبحاثه ومؤلفاته مرجعا لمعظم الباحثين الغربيين في ميدان الدراسات الإسلامية ومن ابرز أعماله كتابه عن الظاهرية مذهبهم وتاريخهم الذي ظهر ١٨٨٤م وكتابه دراسات إسلامية ظهر الجزء الأول منه ١٨٨٩ والجزء الثاني في العام الثاني ثم كتاب محاضرات في الإسلام الذي ترجم إلى العربية في القاهرة تحت مسمى:"العقيدة والشريعة في الإسلام"وكتابه"اتجاهات تفسير القران عند المسلمين "(انظر:الزركلي:الأعلام ج١ ص٨٠ط٣- بيروت- عبد الحميد صالح حمدان: طبقات المستشرقين ص١١٥- ١١٦).

١ - هذا الكتاب ينسب فيه جولد تسيهر المعرفة الدينية التي تلقاها الرسول- صلى الله عليه وسلم- إلى اليهودية والمسيحية والوثنية حيث يقول:"فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجا من معارف وأراء دينية عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها والتي تأثر بها تأثرا عميقا ورآها جديرة بان توقظ عاطفة دينية حقيقية عند بني وطنه(انظرص١٢ من هذا الكتاب:العقيدة والشريعة في الإسلام- ترجمة محمد يوسف موسى وأخر- طبع القاهرة ١٩٤٨م).

٢ - مازن بن صلاح مطبقاني: الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي ص٧١.

٣ - برنارد لويس:الإسلام وأزمة العصر ص١٢.

٤ - مازن بن صلاح مطبقاني:الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي ص٧١ نقلا عن: Annenberg Research institute for Judaic and Near Eastern Studies: "statement of purpose "in the Jewish quarterly Review.vol.lxxvII, no.1, july 1986.

وقد صار لبرنارد لويس دور مؤثر في صنع السياسة الأمريكية، اعترف به"بول وولفوفتز"نائب وزير الدفاع الأمريكي السابق[1] في الكلمة التي وجهها للمحتفلين بالعيد السادس والثمانين لميلاد برنارد لويس بمدينة تل أبيب في إسرائيل سنة ٢٠٠٢م حيث قال:"استطاع برنارد لويس أن يضع- باقتدار- علاقات وقضايا الشرق الأوسط في سياقها الرحب بموضوعية وأصالة وفكر ثاقب مستقل..لقد علمنا برنارد لويس كيف نفهم التاريخ المهم والمركب للشرق الأوسط، وكيف نهتدي به لتحديد وجهتنا التالية لبناء عالم أفضل للأجيال القادمة"وقد أشار وولفوفتز في حديثه إلى أن الإدارة الأمريكية قد اهتدت بعلم برنارد لويس وأفكاره في رسم سياستها للحرب ضد الإرهاب باعتباره حجة في كل ما يتصل بالعالم العربي والإسلام[2]،ولم لا والكثيرون من الغرب يعدونه "عميد الدراسات الشرق أوسطية"[3]،وأبرز حجة لديهم في دراسة الإسلام [4]. فهذا المستشرق قد نشر في الستين عاما الماضية عددا كبيرا من الكتب التاريخية عن العرب والمسلمين والشرق الأوسط تفصح عن علم واسع وانكباب طويل على المصادر التاريخية الأصيلة ما أكسبه شهرة كمؤرخ خبير بأي شيء يتعلق بالإسلام وإن لم يذكر الحقيقة الكاملة عن الإسلام، بل لديه دائما دافع قوي للغاية بسبب ولائه للصهيونية لذكر ما يسئ إلى الإسلام والمسلمين[5]،والحقيقة إن كثيرا من الباحثين المسلمين عربا وغير عرب يعرفون المستشرق برنارد لويس كما يعرفه غير المسلمين من المهتمين بدراسات الإسلام

١ - يشغل حاليا مدير البنك الدولي مما يدل على تغلغل الأمريكيين المحافظين في السياسة المالية العالمية.

(2)Lamis Andoni, "in the service of empire"Al-Ahram weekly, Cairo, 12-16 December 2002

(3)Fritz Lanham, " Review of Lewis. What went wrong "chronicle book magazine 19 January 2002, p.1.

(4)Wall street journal, January 11, 2002.

٥ - جريدة الحياة- العدد الصادر يوم ٢٠٠٣/٧/٢٦ - مقال لجلال أمين تحت عنوان " دليل الرجل الذكي إلى التشهير بالمسلمين".

والمسلمين دينا وحضارة وتاريخا، ومن هؤلاء من تتلمذوا عليه في بريطانيا وأمريكا دراسة وإشرافا[1].

ومنهم من اطلعوا على كتبه ومقالاته إطلاعا وافيا، ويكاد يتفق الجميع على مقدرته العلمية وسعة إطلاعه ومهارته في عرض ما يريد عرضه من أراء وأفكار بغض النظر عن اتفاقهم معها أو معارضتهم لها[2].

وحينما اهتم الاستشراق بعقد الندوات منذ سنة ١٨٧٣ وقام الاتحاد الدولي للمستشرقين بعقد المؤتمرات والندوات وجدنا برنارد لويس يشارك في هذه المؤتمرات منذ سنة ١٩٥٣ حين عقدت مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن بالتعاون مع السفارة اليونانية مؤتمرا لإحياء ذكرى مرور خمسمائة عام على سقوط القسطنطينية وقدم برنارد لويس أستاذ التاريخ الإسلامي بهذه المدرسة بحثا إلى المؤتمر تحت مسمى"القسطنطينية والعرب"وتحدث عن المحاولات التي قام بها خلفاء المسلمين من أجل فتح المدينة واستند إلى عدة أحاديث تذكر أن المسلمين سيفتحون المدينة[3]،وجريا على عادته اختار الأحاديث التي أوردها من كتاب " كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال " ولم يشر إلى درجة هذه الأحاديث من ناحية الصحة والضعف، بل إنه أخذ يستهزئ بهذه الأحاديث.

وفي سنة ١٩٥٧م عقدت مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن مؤتمرا حول كتابة التاريخ الإسلامي أشرف عليه برنارد لويس بصفته رئيسا لقسم التاريخ آنذاك، وقد دعي لحضور هذا المؤتمر عدد من الباحثين من أنحاء شتى بالعالم الإسلامي، ومن هؤلاء بعض الذين تلقوا دراساتهم في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية مثل:عبد العزيز الدوري وجمال الدين الشيال ومحمد حلمي محمد أحمد[4].

---

١ - مجلة العصر عدد ٢٠٠٥/١١/٢٧ مقال لأبي زيد عمر تحت عنوان " برنارد لويس ".

(2)Lamis Andoni, " In the service of empire " AL Ahram weekly, Cairo, 12- 16 December 2002.

٣ - مازن بن صلاح مطبقاني: الاستشراق المعاصر ص٢٠١.

٤ - المرجع السابق ص٢٠١.

ونشرت أبحاث المؤتمر في كتاب أشرف على إعداده كل من برنـــارد لـــويس وب.إم هولت ونشرته جامعة أكسفورد، وقد تناول برنارد في بحثه نقد المستشرقين فـــي كتاباتهم للتاريخ الإسلامي، ويبدو أنه أراد أن يوجههم إلى القضايا التي ينبغي الاهتمام بها من هذا التاريخ وأشار إلى الأدوات اللازمة لدراسة التاريخ ورغم أنه ذكر عدة انتقـــادات لا بأس بها للمناهج الاستشراقية إلا أنه لم ينج من الوقوع في هذه الأخطاء[1].التي ظهرت في مؤلفاته ونشاطاته العلمية الكثيرة.

---

١ - المرجع السابق ص٢٠١.

أبرز مؤلفات برنارد لويس:

كان لبرنارد لويس مؤلفات عدة شملت تخصصات شتى في الدراسات العربية والإسلامية وفي هذا المبحث سنتحدث عن أبرز مؤلفاته العلمية في التاريخ الإسلامي ثم مؤلفاته الأخرى.

المؤلفات العلمية في التاريخ الإسلامي:

كتاب " أصول الإسماعيلية "[1].بحث تاريخي في نشأة الخلافة الفاطمية ترجمه إلى اللغة العربية خليل أحمد جلو وجاسم محمد الرجب وقدَّم له الدكتور عبد العزيز الدوري وصدر عن منشورات مكتبة المثني ببغداد في أول أغسطس سنة ١٩٤٧م ثم أُعيد طبعه بدار الكتاب العربي بمصر، وهذا الكتاب في الأصل هو رسالة الدكتوراه التي أعدها برنارد لويس وتقدم بها لمدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن، وحصل بها على الدكتوراه سنة ١٩٣٩م ونشرت في العام التالي[2]،وقد افتتح برنارد كتابه بمقدمة يستعرض فيها مصادر تاريخ الحركة الإسماعيلية بادئا الحديث عن المصادر السنية مبينا المراحل التي وصلت بها الأخبار والمعلومات التاريخية إلى هذه المصادر عن عقائد الإسماعيلية، وإن وصف هذه الأخبار بأنها لم تكن دقيقة عن الفرقة ومبادئها وأصولها، وهو يصنف المصادر بحسب المراحل فيذكر نوع المعلومات والأخبار التي وردت في كل كتاب، ويناقش قيمتها فيضع الطبري في المرحلة الأولى وابن رزام[3] في المرحلة الثالثة.

ثم ينتقل للحديث عن المقالات التي كتبها فقهاء المسلمين ويشير إلى أنها جاءت كردٍّ فعل يبين موقف أهل السنة من الشيعة الإسماعيلية، ويتحدث في مقدمته أيضا عن كتب

1-The Origins of Ismailism. A study of the historical background of the Fatimis Caliphate . Cambridge .

٢ – مازن بن صلاح مطبقاني: الاستشراق والاتجاهات الفكرية ص٨٨.

٣ – أبو عبد الله بن رزام من رجال القرن الرابع الهجري توفي حوالي سنة ٣٦٥هـ وكان صاحب المظالم ببغداد وله كتاب " الرد على الإسماعيلية "(انظر: شاكر مصطفى:التاريخ العربي والمؤرخون ج١ ص٣٤٠ الطبعة الثالثة ١٩٨٣م دار العلم للملايين – بيروت)

الفرق الإسلامية ويذكر أنها كتب يسودها التعصب، إلا أنها تعطي أحيانا أخبار عن المذهب الشيعي لا توجد في كتب التاريخ الحقيقي ثم يتناول كتب الشيعة الاثنى عشرية ويشير إلى أهميتها مبينا أنهم كانوا على صلة أوثق بفرقة الإسماعيلية من أهل السنة ويختم مقدمته بعرض كتب الإسماعيلية مؤكدا عليها لفهم حركتهم[١]

وبعد أن استعرض برنارد لويس في مقدمته المصادر السنية ثم الشيعية فالإسماعيلية، قسم كتابه إلى ستة فصول فتناول في الفصل الأول الحديث عن نشأة الفرقة الإسماعيلية، وذكر أنه اعتمد في هذا الفصل على كتاب الشيعة للنوبختي[٢]، ووصفه بأنه من أغنى المصادر مادة وأوثقها رواية، وأشار إلى أنه رجع في هذا الفصل أيضا إلى مصادر أخرى لاسيما بحوث فلهاوزن[٣]وفان فلوتن[٤] وجويدي[٥].ثم يتحدث في مدخل لهذا الفصل عن نشأة الفرق الشيعية في الإسلام لينتقل بع ذلك للحديث عن نشأة الفرقة الإسماعيلية.

جويدي ،ميكل أنجلو (١٨٨٦- ١٩٤٠م)مستشرق إيطالي عمل في جامعة روما وكان يشغل كرسي التاريخ والنظم الإسلامية ومن أكبر أثاره في ميدان دراسة الإسلام الفصل

---

١ - برنارد لويس: أصول الإسماعيلية ص٢٨.

٢ - الحسن بن موسى بن الحسن بن محمد النوبختي من أهل بغداد ت ٣١٠هـ/٩٢٢م نسب إلى جده نوبخت ومن كتبه:

٣ - فرق الشيعة- الآراء والديانات- الفرق والمقالات- الرد على المنجمين، الرد على الغلاة(انظر خير الدين الزركلي:الأعلام، جـ٢ ص٢٢٤- دار العلم للملايين- بيروت- ط١٢فبراير ١٩٩٧م).

٤ - (يوليوس فلهاوزن مستشرق ألماني مشهور ولد سنة ١٨٤٤م وتوفي ١٩١٨م وهو من المستشرقين الذين اهتموا بدراسة التاريخ الإسلامي واختص بالحديث عن الفرق الإسلامية وقد عمل أستاذا للدراسات العربية والإسلامية في جامعة غوتنجن، وله أثار كثيرة من أهمها:الإمبراطورية العربية وسقوطها، الأحزاب المعارضة في الإسلام، تنظيم محمد للجماعة في المدينة(انظر :ميشال حجا:الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا ص١٩٦- معهد الانماءالعربي- بيروت)

٥ - فان فلوتن، خيرولف(١٨٦٦- ١٩٠٢م) مستشرق هولندي آلف عدة أبحاث منها مجئ العباسيين إلى خراسان سنة ١٨٩٠م بالهولندية وأبحاث في السياسة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد الخلافة الأموية ١٨٩٤م بالفرنسية وترجم إلى العربية على يد حسن إبراهيم حسن وزكي محمد إبراهيم (انظر :عبد الحميد صالح حمدان: طبقات المستشرقين ص١٥٩).

الطويل الذي كتبه بعنوان تاريخ الدين الإسلامي ضمن كتاب شـامل عنوانـه "تـاريخ الأديان"صدر سنة ١٩٣٦م (المرجع السابق ص١٢٠- ١٢١).

ويخلص في هذا الفصل إلى أن أبا الخطاب مولى بني أسد تعاون مع إسـماعيل بـن جعفر الصادق في إنشاء فرقة شيعية ثورية تدعمت أركانها على يد محمد بن إسماعيل بعد وفاة أبيه وسميت بالإسماعيلية [١]،وفي الفصل الثاني يتحدث عـن الأئمـة المسـتورين وأعوانهم[٢].محاولا تفسير أصل الفاطميين معتمدا على فكرتين عن الإسماعيلية هما فكرة النسب الروحي وهي اعتبار التلميذ ابن معلمه وخاصة أن القرابة الروحية أهم من القرابة الحسية ويبين أن عبد الله القداح هو ابن محمد بن إسماعيل الروحي [٣]،ويذكر أن بعـض الأئمة المستورين في فترة الخطر بين محمد ابن إسماعيل وعبيد الله المهدي هم من ولـد القداح ويوضح ذلك بمناقشة فكرة تقسيم الإمامة عند الإسماعيلية إلى مستقرة ومسـتودعه فالإمام المستقر هو الإمام الحقيقي وله كل مزايا الإمامة وحـق التوريـث أمـا الإمـام المستودع فله كل مزايا الإمامة وليس له حق التوريث [٤]،ويخلص إلى أن بعض القداحين قاموا بمهمة أئمة مستودعين في فترة الخطر[٥]،وهو يحاول في هذا الفصل إنقاذ النسـب الفاطمي مما شابه من اضطراب في الروايات التاريخية التي تحدثت عن نسبه.

ويتحدث في الفصل الثالث[٦].عن قرامطة البحرين وخلافهم مع الفاطميين فيذكر أنهم في فتر الثلاثين سنة الأولى من القرن الرابع الهجري وقع خلاف شديد بـين القرامطـة والفاطميين إلا أن هذا الخلاف لم يكن مستمرا حيث عاد القرامطة للخضـوع للفـاطميين

---

١ – برنارد لويس: أصول الإسماعيلية ص٨٣- ١١٦ منشورات مكتبة المثنى.

٢ – المرجع السابق ص١١٧- ١٦٦

٣ – المرجع السابق ص١٢١، ١٢٥

٤ – المرجع السابق ص١٢٦.

٥ – المرجع السابق ص١٢٧.

٦ – المرجع السابق ص١٦٧- ١٨٧.

واستجابوا للخليفة الفاطمي المهدي وأعادوا الحجر الأسود إلى موضعه في الكعبة سنة ٣٣٩هـ/٩٥٠م بأمر من الفاطميين[١]،وفي الفصل الرابع يتحدث عن الأهمية الاجتماعية للفرقة الإسماعيلية ويتوصل إلى أن العوامل الاجتماعية كان لها أثر قوي في الحركة حيث يقول:"إن الشيعة الثورية كانت النتيجة الطبيعية في وسط ثيوقراطي لثورة الطبقات المظلومة الفارسية والسامية على السواء"[٢]،وفي الفصل الخامس تحدث عن مذهب الشمول في العقيدة وذكر أن الدعوة الإسماعيلية صادفت هوى في نفوس جماعات شتى من المزدكيين والمانويين والصابئين والشيعة والسنة والمسيحيين واليهود، فأنشأت الدعوة نطاقا قويا من مذهب الشمول في العقيدة أي إنهم صاغوا نظاما محكما أصبحت بموجبه الصحة النسبية لجميع الأديان معترفا بها وألغي التعصب الديني إلغاء تاما[٣]،وينتقل برنارد في الفصل السادس والأخير إلى الحديث عن الشيوعية ويرى أنها من التهم المتواترة التي وجهها أهل السنة إلى القرامطة والإسماعيليين والتي ذكروا فيها أن الفرقتين وأنصارهما دعوا إلى شيوعية الأموال والنساء وطبقوها ويحاول نفي هذه التهمة عن الفرقتين ويرى أنها من أعداء القرامطة وتتسم بالتعصب الشديد عليهم ثم يذكر أن كتابات الإسماعيليين أنفسهم لا تحمل أثرا لعقيدة الشيوعية[٣].

الحشاشون: فرقة متطرفة في الإسلام[٤].

يعنون برنارد للفصل الأول من هذا الكتاب تحت مسمى" اكتشاف الحشيشية"[١]، ويرى أن كلمة حشيشي كانت اسما شائعا في معظم اللغات الأوربية مرادفا لكلمة " قاتل" وأن

---

١ - برنارد لويس:أصول الإسماعيلية ص١٨٧.

٢ - المرجع السابق ١٩٠- ١٩١.

٣ - المرجع السابق ص٢٠٢

4-The Assassins: A Radical sect in Islam (London: 1967)

وقد ترجم هذا الكتاب الدكتور سهيل زكار تحت عنوان " الحشيشية " وصدرت طبعته الأولى سنة ١٩٧١ في دمشق ثم أعاد طباعته مرة أخرى سنة ٢٠٠٤م تحت مسمى (الحشيشية الاغتيال ألطقوسي عند الإسماعيلية النزارية) وزوده بمدخل تاريخي للإسماعيلية والقرامطة والخلافة الفاطمية، والحق به ملاحق وثائقية وصدر عن دار قتيبة بدمشق وبيروت.

هذه الكلمة ظهرت لأول مرة في كتابات مؤرخي الحروب الصليبية كطائفة متطرفة من الطوائف الإسلامية كانت تسكن في غربي سورية وتوجه من قبل شخصية أسطورية كانت تعرف باسم "شيخ الجبل"[٢].إلا أنه يحاول الدفاع عن هذه الجماعة ويصفها بأنها جماعة ثورية نبعت من الإسماعيلية مثلما قامت الجمعيات السرية الثورية في الغرب وأن الاسم الذي أطلق عليها عبارة عن صيغة تشنيع عامة[٣].

أما الفصل الثاني فقد عنون له برنارد تحت مسمى"الإسماعيلية" ويتناول فيه نشأة الشيعة منذ عهد علي بن أبي طالب ثم تطورها وتعددها إلى فرق مختلفة ومنها الدعوة الإسماعيلية والدور الكبير الذي قام به دعاتها في سبيل قيام الدولة الفاطمية ثم توطيد الفاطميين لمركزهم وسلطانهم ببلاد المغرب ثم نجاحهم في الاستيلاء على مصر وانتقال الخليفة المعز لدين الله إليها لتقوم الخلافة الفاطمية ويستمر في الحديث عنها حتى موت الخليفة الفاطمي المستنصر وحدوث انشقاق في داخل الفرقة الإسماعيلية بين المستعلية والنزارية ويرى أن الخلافة الفاطمية كانت تحتضر وصارت هناك حاجة ماسة إلى ظهور دعوة جديدة وإلى مذهب جديد ويردف قائلا:"وهذا ما جرى إبداعه من قبل ثوري عبقري أصيل اسمه حسن الصباح"[٤].مختتما بتلك الكلمات هذا الفصل.

أما الفصل الثالث وعنوانه"الدعوة الجديدة"فقد تحدث عن نشأة حسن الصباح ومحاولته إصدار الدعوة الإسماعيلية من جديد وصراعه مع السلاجقة واستيلاؤه على قلعة آلموت وطرد صاحبها ونجاحه في ضم عدة قلاع أخرى ويصفه بأنه المحرك الأول للدعوة الجديدة التي سميت بالإسماعيلية النزارية التي ذاعت وانتشرت بعد الانفصال عن القاهرة[٥].

---

١ - برنارد لويس: الحشيشية ص١٥٩.

٢ - المرجع السابق ص١٦٠.

٣ - المرجع السابق ص١٧٠- ١٧١.

٤ - المرجع السابق ص٢٢٣- ٢٦١.

٥ - برنارد لويس: الحشيشية ص٢٢٠.

وفي الفصل الرابع "الدعوة في إيران"يتحدث عن وفاة حسن الصباح وتولي بـــزرك أميد السلطة بعده وتمكن الدعوة في إيران ونجاحهم في قتل الخليفة العباســـي المسترشـــد ومحتسب أصفهان ووالي مراغه ومحتسب تبريز ومفتي قزوين ثـــم انهيـــارهم وســـقوط حصونهم وقلاعهم أمام المغول[١].

وفي الفصل الخامس يعود برنارد للحديث عن شيخ الجبل إلا أن عنـــوان هـــذا الفصل جاء غير مناسب لمضمونه حيث واصل فيه برنارد الحديث مرة أخرى عن الإسماعيلية في إيران ومحاولتهم بسط نفوذهم على أجزاء من ســـورية وتحصـــين مجموعة من القلاع في جبال بهراء التي تسمي الآن باسم جبال النصيرية أو العلويين وكذلك أفامية[٢].ثم تحدث عن محاولتهم لاغتيال بعض أمراء الصليبيين وتعاونهم مع الأيوبيين والمماليك[٣].أما الفصل السادس وهو "وسائل وغايات" فهو يتحدث فيه عن الوسائل التي كانت فرقة الباطنية الحشيشية تستخدمها لتحقق أهـــدافها[٤]،ويبـــدو أن برنارد لويس كان شغوفا بالحديث عن فرقة الإسماعيلية وأتباعهـــا مـــن الباطنيـــة الحشيشية بدليل أن كتابه الأول كان عن أصول الإسماعيلية.

وتلاه كتابه الثاني عن الحشيشية ثم عدة مقالات ومحاضرات عن هذه الفرقـــة نـــذكر منها مقالة:"صلاح الدين والحشاشون"[٥]، ومقالة أخرى بعنوان"مصادر تاريخ الحشاشـــين في سوريا"،ومحاضرة عامة ألقيت في جمعية لندن للعصور الوسطى سنة ١٩٤٨م بعنوان "الحشاشون"[٦].

---

١ - المرجع السابق ص٢٢٣- ٢٦١.

٢ - المرجع السابق ص٢٦٥.

٣ - المرجع السابق ص٢٨٤- ٢٨٧.

٤ - المرجع السابق ص٢٩١- ٣٠٦.

5-"The sources of the History of the Syrian Assassins" in Speculum 17 (1952) pp.475- 89

6-"The Assassins" London Mediaeval society.

أما كتابه الثالث في التاريخ الإسلامي فهو كتاب"العرب في التاريخ"[١]. الذي ترجمه للغـــة العربية نبيه أمين فارس ومحمود يوسف زايد وصدرت الطبعة الأولى عن دار العلم للملايـــين في بيروت سنة ١٩٥٤ وقدمه المستشرق الإنجليزي هاملتون جب بعبارة موجزة يقول فيها هذا الكتاب عرض عام لتاريخ العرب حتى العصر الحاضر موزون يستحق القراءة[٢].

وقد بدأ برنارد لويس كتابه بقوله إن هذا الكتاب ليس تاريخا للعرب بقدر ما هو رسالة أو مبحث يقدم مجموعة ملاحظات يريد بها أن يوضح وجهة نظره حول موقع العرب في التاريخ[٣].

وقد احتوى كتابه على عشرة فصول تضمنت ما يلي:بلاد العرب قبل الإسلام- محمد وظهور الإسلام- عصر الفتوح- الدولة العربيـــة- الإمبراطوريـــة الإســـلامية- ثـــورة الإسلام- العرب في أوربا- الحضارة الإسلامية- العرب في دور التأخر- تأثير الغرب.

ويلاحظ أن المؤلف هنا لم يوثق ما كتبه من معلومات، لكنه أثبت في نهايـــة الكتـــاب قائمة بالمصادر معظمها من كتب المستشرقين الأوربيين الذين كتبوا دراسات متعددة فـــي التاريخ الإسلامي ومما لا شك فيه أنه قد نهج نهجهم في كثير من القضايا: من أبرزهـــا التشكيك في القرآن الكريم وأنه مأخوذ من الكتب السماوية السابقة وكذلك التشـــكيك فـــي صحة الحديث الشريف وانتقاد منهج علماء الحديث[٤].

سلسلة كمبردج للتاريخ الإسلامي[٥]:وقد صدرت هذه السلسلة مقسمة إلى أربعة أجزاء في مجلدين وشارك برنارد في الكتابة بها مع آخـــرين حيـــث قـــدم مقـــالتين إحـــداهما عنوانها"مصر وسوريا"وتناول فيها التركيز على الحكم الإسلامي في كل منهما وإن حاول

1-The Arabs in History,. London. First published 1950 Reprinted 1954, 1956. Second edition 1958. Reprinted 1960 1962. Third edition 1964. Fourth edition 1966. Reprinted 1968. Fifth edition 1970. Reprinted 1975,1977,1981,1984.

٢ - برنارد لويس: العرب في التاريخ ص٣.

٣ - مازن بن صلاح مطبقاني:الاستشراق والاتجاهات الفكرية ص٨١.

٤ - مرن بن صلاح مطبقاني:الاستشراق والاتجاهات الفكرية ص٨٢.

5-The Cambridge History of Islam. 2vols in four. Cambridge: Cambridge University press. 1970 (Co- editor with others)

أن يبرز موقف القبط المصريين من سياسة الدولة الإسلامية وتذمرهم -من وجهة نظره- من ارتفاع الضرائب المفروضة عليهم كما تحدث عن الحركات السياسية والفكرية في مصر وسوريا، أما مقالته الثانية فكان عنوانها:"الحكومة والمجتمع والحياة الاقتصادية تحت الحكم العباسي والفاطمي"[1]

كتاب الإسلام في التاريخ[2]،وهو مجموعة من البحوث والدراسات التي كان برنارد لويس قد شارك بها في مؤتمرات وندوات متعددة وتناول فيها عدة قضايا في التاريخ الإسلامي منذ عصر صدر الإسلام وحتى عصره وقد شملت بعض الجوانب الفكرية بالإضافة إلى الجوانب التاريخية وهو كتاب يفتقر إلى الترابط بين موضوعاته أو المنهجية في التأليف[3].

المؤلفات العلمية الأخرى:

كتب برنارد لويس مدة تزيد عن نصف قرن حول الإسلام والمسلمين واهتم في معظم كتاباته الأولى بالفرق الإسلامية من أمثال الشيعة والحشاشين والإسماعيلية وغيرهم.

أما كتاباته المعاصرة فقد اتجه فيها إلى الحديث عن الديمقراطية والإسلام، والحركات الإسلامية والأصولية وعلاقات المسلمين بغير المسلمين مستفيدا من خبرته في التاريخ الإسلامي ليطعن في الإسلام والمسلمين[4].

وأبرز هذه المؤلفات نجملها فيما يلي:

كتاب المسلمون يكتشفون أوربا[5]،وقد نشر هذا الكتاب في نيويورك ١٩٨٢م في ٣٥٨ صفحة وهو في هذا الكتاب يشير إلى اهتمام المؤرخين باكتشاف أوربا للعالم الإسلامي وموقفها منه، وعلى الجانب الآخر يبحث في موقف المسلمين من أوربا وكيف تطور

---

١ - مازن بن صلاح مطبقاني: الاستشراق والاتجاهات الفكرية ص٨٢

2-Islam in History. London: Alcove Press 1973

٣ - مازن بن صلاح مطبقاني: الاستشراق والاتجاهات الفكرية ص٨٢

٤ - مازن بن صلاح مطبقاني: الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام ص١٥.

5-The Muslim Discovery of Europe. New Yourk, w .w Norton, 1982.

موقفهم من تجاهل كامل إلى الخضوع والتغريب ويتناسى أن التاريخ أثبت أن المسلمين انفتحوا على حضارات الأمم جميعا يؤكد ذلك أعمال الترجمة المتعددة التي شملت كافـة المجالات[١].

كتاب"اليهود في الإسلام"[٢]،وقد نشرت جامعة برنستون بالولايات المتحدة الأمريكية هـذا الكاتب سنة ١٩٨٤م في ٢٨٠ صفحة وأعيد نشره مره أخرى في نيويورك سنة ١٩٨٧م [٣]،وتناول فيه برنارد لويس موقف الإسلام من اليهود بوصفهم من أهل الذمة، ويزعم أن اليهود كانوا مواطنين من الدرجة الثانية ولا ينالون حقوق المواطنة الكاملة، وهو يرى أن التسامح الإسلامي مع غير المسلمين ليس إلا أمرا نسبيا[٤].

كتاب"اللغة السياسية في الإسلام"[٥].هذا الكتاب عبارة عن محاضرات ألقاها برنارد لويس في مركز جون أولين John Olin بجامعة شيكاغو في الفترة من ٢٩ أكتوبر إلـى ٤ نوفمبر ١٩٨٦م بتمويل من شركة اكسـون Exxon مـن كبريـات شـركات البتـرول الأمريكية[٦].

كتاب " **ما الذي جرى خطأ؟** " أو " **ما الخطأ ؟**"[٧].هذا الكتـاب عبـارة عـن ثـلاث محاضرات عامة ألقاها برنارد لويس ثم جمعها وأعدها للنشر تحت عنـوان: "what went wrong?"أي ما الذي جرى خطأ؟ أو ما الخطأ ؟ والكتاب يأتي في ٢٠٨ صـفحة

---

١ - مازن بن صلاح مطبقاني: الاستشراق والاتجاهات الفكرية ص٨٣- ٨٤.

2-The Jews of Islam (Princeton University press 1984)

٣ - خليل الصغير: برنارد لويس ص٧.

٤ - مازن بن صلاح مطبقاني: الاستشراق والاتجاهات الفكرية ص١٠٠.

5-Political language of Islam. Chicago and London. (The university of Chicago press, 1988).

٦ - مازن بن صلاح مطبقاني: الاستشراق المعاصر ص٧٢.

7-What went wrong? Western Impact and Middle Eastern Response (Oxford: Oxford university press, 2002)

وصدر في لندن ونيويورك سنة ٢٠٠٢م، والمقولة الأساسية للكتاب هـي:"في القـرن العشرين تبدي بجلاء في الشرق الأوسط وفي كل ارض الإسلام بان الأمور تسير بطريقة خاطئة فمقارنة بالخصم الأزلي النصرانية فإن عالم الإسلام أصبح فقيرا وضعيفا وجاهلا"[١]،ويمضي لويس طوال الكتاب للتدليل على حكمه المتحامل والمدسوس هذا فالمسلم قد أدرك أن الأمور تسير على غير ما يشتهي لكنه بدلا من أن يسال عن كيفية إصلاحها يلقي باللوم على الآخرين، ووجد أن إلقاءه بالتبعة على الأخر أمرا سهلا بالنسبة له فتارة– حسب إدعاء لويس– يرجع المسلم ضعفه إلى الغزو المغولي وتارة إلى السيطرة العثمانية، وفي كل حين إلى الاستعمار الأوروبي[٢].

كتاب"أزمة الإسلام– الحرب المقدسة والإرهاب غير المقدس"[٣].هذا هو الكتاب قبل الأخير لبرنارد لويس وقد صدرت طبعته الأولى مطلع سنة ٢٠٠٣ في ١٩٠ صفحة ويعد تكملة للكتاب الذي سبقه "أين الخطأ؟" وقد ترجم كتاب أزمة الإسلام إلى اللغة العربية تحت مسمى " الإسلام وأزمة العصر، حرب مقدسة وإرهاب غير مقدس" وصدر عن مكتبة الأسرة ٢٠٠٤م بترجمة الأستاذ أحمد هيكل وتقديم ودراسة للدكتور رءوف عباس.

وبرنارد لويس يتحدث في كتابه عن سقوط الخلافة على يد كمال أتاتورك ويعد ذلك حدثا جللا أصاب النظام السياسي الإسلامي في مقتل لصلح النظام السياسي الغربي وأن المسلمين يحاولون استعادة الخلافة ولذا لجأوا إلى القتل والإرهاب لأنهم لا يعترفون

---

١ – ناصر عبد الرزاق الملا جاسم: الاستشراق الأمريكي والعودة لتفسير الإسلام ص١٤ مقال في مجلة الحوار– عدد ١٤ سبتمبر (أيلول)٢٠٠٣م– كلية الآداب– قسم التاريخ جامعة الموصل.

٢ – ناصر عبد الرزاق: الاستشراق الأمريكي ص١٤ نقلا عن

Bernard. Lewis, "what went wrong" p.4

3-The Crisis of Islam: Holy war and Unholy Terror (New Yourk: Random House Trade Paperbacks, 2003.

بالأديان الأخرى، ويعدون أصحابها كفارا، بدليل طردهم ليهود خيبر ونصارى نجـــران من شبه الجزيرة العربية فالإسلام- من وجهة نظره- عدواني ونبي الإسلام كان قيصـــرا وصاحب إمبراطورية، ارتبطت بعده الرسالة الدينية بالسلطة السياسية لأن الشريعة تتناول كيفية اكتساب السلطة وممارستها ومدى شرعيتها، وواجبات الحاكم والمحكوم لذلك يطالب رجال الدين بالسلطة ويمارسونها فعلا في إيران[١]،ويخلص إلى أن الإسلام دين دمـــوي يعتنقه أناس من مصاصي الدماء يجب تخليص العالم من شرهم حتى يعيش النـــاس فـــي سلام[٢].

---

١ - برنارد لويس: الإسلام وأزمة العصر ص١٦.

٢ - المرجع السابق ص١٧.

المبحث الثالث

إسهاماته العلمية

تعددت إسهامات برنارد لويس العلمية فشملت إلقاء المحاضرات العامة والاشتراك في المؤتمرات والندوات وكتابة المقالات والإشراف على الرسائل العلمية ونظرا لكثرتها فإن البحث سيتحدث عن أبرزها هنا على النحو التالي:

المقالات:

كتب برنارد لويس مقالة طويلة بعنوان "**مسألة الاستشراق**" يتناول فيها ما توصل إليه المستشرقون في مؤتمرهم العالمي في باريس سنة ١٩٧٣ وكان مما ذكره في المقالة أنه يجب على المستشرقين التخلي عن هذه التسمية "تسمية الاستشراق" وإعادة النظر في طبيعة عمل المستشرقين لتحسين صورتهم أمام العالم الإسلامي[١].

مقالة"**جذور غضب الإسلام**"[٢]،وهي مقالة مطولة نشرت سنة ١٩٩٠م في مجلة Atlantic Monthly ومن خلال هذه المقالة يوظف برنارد خبراته في دراسة التاريخ الإسلامي ليدخل في عقل القارئ الأوربي الرعب والخوف من الإسلام فهو يدعي كراهية المسلم للغرب وأن هذه الكراهية متأصلة في نفسه لأنها تستند إلى تراث تاريخي طويل من معداة النصرانية والغرب منذ زمن النبي محمد- صلى الله عليه وسلم- الذي شن الحرب وعقد المعاهدات وشرع القوانين ثم سار خلفاؤه على سنته هذه[٣].

مقالة **الجهاد مقابل الحملة الصليبية**[٤].كتب برنارد هذه المقالة ووضع لها عنوانا جانبيا له مغزى مقصود وهو دليل مؤرخ للحرب الجديدة Historian Guide to New

---

١ - برنارد لويس:"مسألة الاستشراق" في الاستشراق بين دعاته ومعارضيه إعداد هاشم صالح- لندن- دار الساقي ١٩٩٤ ص١٥٩- ١٨٢ وقد نشرت المقالة أصلا في New Yourk: Review of books.

2-The Roots of Muslim Rage" Atlantic Monthly. sep. 1990

٣ - ناصر عبد الرزاق الملا جاسم: الاستشراق الأمريكي ص١٣ نقلا عن.
Bernard Lweis: The Roots, p49

4-"Crusade vs. Jihad" The wall street Journal" sep. 27, 2001.

Year, وهو يريد أن يقول: إن المسلمين يتمتعون بذاكرة تاريخية قويــة وإن مفهــوم الجهاد الذي أطلقه"أسامة بن لادن" ضد الأمريكان الصليبيين معناه أن المســلمين يعــدون العدة لحرب دينية جديدة على غرار ما كان يقوم به نبيهم[١].

مقالة"ثورة الإسلام"[٢].جاءت هذه المقالة في حدود ١٨ صفحة من القطع الكبير وقــد قسمت المقالة إلى ستة عناوين هي: صنع التاريخ- دار الحــرب- الشــيطان الأعظــم- المعايير المزدوجة- فشل التحديث- بروز الإرهاب.

وهو في هذا المقال يريد أن يقول إن المسلم يدرك تماما أن خصمه اللدود هو الغرب النصراني الذي تصدى له في الماضي بالجهاد ويعود لمواجهته اليوم بالطريقة نفسها[٣].

المؤتمرات:

حضر برنارد لويس الكثير من المؤتمرات التي تبحث في مجال التاريخ ومن أبرز هذه المؤتمرات ما يلي:

مؤتمر حول الكتابة التاريخية للشرق الأدنى والأوسط سنة ١٩٥٧[٤]،وقد عقــد هــذا المؤتمر بإشراف برنارد لويس الذي كان يرأس قسم التــاريخ الإســلامي فــي مدرســة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن، وقد دعي إلى هذا المؤتمر عدد من البــاحثين ممــن درســوا علــى يــد برنــارد لــويس وكــان مــنهم الــدكتور محمــد حلمــي محمد احمد من كلية دار العلوم- جامعة القاهرة،وكمال صليبي من الجامعــة الأمريكيــة ببيروت[٥].

مؤتمر الإسلام والحكم الفردي والتحديث في الشرق الأوسط:

عقد هذا المؤتمر في مركز موشيه ديان لدراسات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا فــي الفترة من ١٣- ١٤ ديسمبر سنة ١٩٩٥م وقد شارك فــي هــذا المــؤتمر عــدد مــن

---

١ - ناصر عبد الرزاق الملا جاسم: الاستشراق الأمريكي ص١٤ نقلا عن:

Lewis:Jihad, p.1

2-Bernard. Lewis, the Revolt of Islam. The New Yourker.. 19 October. 2001

٣ - ناصر عبد الرزاق الملا جاسم: الاستشراق الأمريكي ص١٤.

4-Conference on Histrical writing of the near and Middle East. (1957).

٥ - مازن بن صلاح مطبقاني: الاستشراق والاتجاهات الفكرية ص١١٦.

المستشرقين الأمريكيين والأوربيين وتحدث برنارد لويس في الجلسة الافتتاحية لهذا المؤتمر عن مصطلح الحكم الفردي من الناحية التاريخية وموقف الإسلام من مصطلح"ملك"وكيف اختار المسلمون مصطلح "الخلافة"ثم كيف تطور [1].

الإشراف على الرسائل العلمية:

قام برنارد لويس بالإشراف على عدد من الباحثين العرب نذكر على سبيل المثال منهم:

الأستاذ الدكتور محمد حلمي محمد أحمد- رحمه الله- الذي كان أستاذا للتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بكلية دار العلوم- جامعة القاهرة.

الدكتور سهيل زكار الذي يقول في مقدمة ترجمته لكتاب"الحشيشية" "استهوتني منذ زمن طويل الدراسات حول الأديان والمذاهب، وأخذت هذه الهواية تتحول إلى احتراف أثناء إعدادي لأطروحة الدكتوراه في جامعة لندن، وفي عام ١٩٦٨م سمعت أكثر من محاضرة حول الإسماعيلية بشكل عام والدعوة الإسماعيلية الجديدة من المستشرق برنارد لويس الذي كان يشرف على رسالتي للدكتوراه"[2].وكمال صليبي: وكانت رسالته تحت عنوان"دراسات حول الكتابة التقليدية للتاريخ الماروني في الفترة من ١١١٠م- ١٥١٦"[3].

محمد مناظر أحسن: وكانت رسالته تحت عنوان:"الحياة الاجتماعية في حكم العباسيين (١٧٠هـ- ٢٨٩هـ/٧٨٦- ٩٠٢م)"[4].

---

١ - مازن بن صلاح مطبقاني:الاستشراق المعاصر ص١٩٨.

٢ - برنارد لويس: الحشيشية ترجمة سهيل زكار ص٧.

٣ - مازن صلاح مطبقاني: الاستشراق والاتجاهات الفكرية ص١١٩.

٤ - المرجع السابق ص١٢٠.

المبحث الرابع

منهج برنارد لويس

في دراسة التاريخ الإسلامي

مدخل:

إن منهج البحث التاريخي هو المراحل التي يسير خلالها الباحث حتى يصل إلى الحقيقة التاريخية ويقدمها إلى المختصين بخاصة، والقراء بوجه عام، وتتلخص هذه المراحل في أن يقوم الباحث بتزويد نفسه بالثقافة اللازمة له ثم يختار موضوع البحث ويقوم بجمع الأصول والمصادر[١].

وتأتي في مقدمة المصادر التاريخية الوثائق والمخطوطات وكتابات شهود العيان والمعاصرين والشعر ثم كتابات المؤرخين المحدثين بالإضافة إلى العديد من الروايات المتخصصة التي يدونها علماء متخصصون في التاريخ[٢]،وعلى الباحث أن يتحرى نصوص الأصول والمصادر ويحدد العلاقة بينها ثم يقوم بنقدها نقدا باطنا ايجابيا وسلبيا كي يثبت الحقائق التاريخية ويقوم بعرضها عرضا معقولا.

وينبغي على الباحث أن يكون أمينا شجاعا مخلصا فلا يكذب ولا ينتحل ولا يخفي الوقائع والحقائق التي قد لا يعرفها غيره، والتي قد لا ترضيه أو لا ترضي قومه إذ أنه لا رقيب عليه غير ضميره[٣].لأن مهمة الباحث شبيهة بمهمة المحقق الذي يستنطق الشهود ويجمع شهاداتهم وينقدها في سبيل استجلاء ما حدث، وهي شبيهة أيضا بمهمة القاضي من حيث أنه يحاول بمقارنة الشهادات ومقابلتها وسماع الشهود أن يستخرج الواقع قبل إصدار الحكم[٤].

ولقد استخدم برنارد لويس منهجا سار عليه في كتاباته يخالف كثيرا مما ذكرناه آنفا وسنوضح أركان هذا المنهج فيما يلي:

---

١ - حسن عثمان: منهج البحث التاريخي ص٢٠- الطبعة الرابعة- دار المعارف-مصر.

٢ - إسماعيل أحمد ياغي: علم التاريخ ومناهجه ص٩ الطبعة الأولى ٢٠٠٣ مكتبة الرشد- الرياض.

٣ - حسن عثمان: منهج البحث التاريخي ص١٨

٤ - إسماعيل احمد ياغي: علم التاريخ ومناهجه ص١٢٠.

أولا: المصادر والمؤلفات السابقة:

في كتابه"أصول الإسماعيلية"ذكر برنارد لويس عددا من المصادر السنية[1]،والشيعية[2]،والإسماعيلية[3]،تحت عنوان"نظرة في المصادر"[4].في مقدمة كتابه محاولا تحليل هذه المصادر ونقدها من وجهة نظره حيث يرى أن الكثير من هذه المصادر قد درس من قبل وأنه يحاول بيان قيمتها من جديد[5]،وفي تحليله لهذه المصادر يبدأ بتواريخ أهل السنة مبينا المراحل التي مر بها وصول المعلومات عن عقائد الإسماعيلية وتاريخ الحركة السري في دوره الأول إلى أهل السنة ويرى أن معلومات هذه الكتب لم تكن دقيقة دائما[6]،ويذكر أن محمد بن جرير الطبري في تاريخه يمثل أقدم مرحلة لمعلومات السنة عن الحركة الباطنية تمثيلا واضحا إلا أن إطلاعه على عقائد الفرق وعلى خلافاتها الداخلية إطلاع قليل ولم يكن يعرف من المعلومات المأخوذة من التقريرات عن الحوادث إلا قليلا[7].

---

١ – الطبري: تاريخ الأمم والملوك- أبو الفدا:تاريخ أبي الفدا- عريب بن سعد: صلة تاريخ الطبري حمزة الاصفهاني: سني ملوك الأرض والأنبياء- ابن عذارى: البيان المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب- ابن خلكان: وفيات الأعيان- ابن الأثير: الكامل في التاريخ- ابن مالك: كشف أسرار الباطنية- ابن النديم: الفهرست- الجو يني: الحشاشون- المقريزي: اتعاظ الحنفا- الخطط- المقفى الكبير- المسعودي/ مروج الذهب- التنبيه والإشراف- مسكويه: تجارب الأمم- النويري- نهاية الأرب- السيوطي- تاريخ الخلفاء- ثابت بن سنان:تاريخ القرامطة- الأشعري: مقالات الإسلاميين - البغدادي: الفرق بين الفرق- الشهرستاني: الملل والنحل- الذهبي: ميزان الاعتدال- السمعاني: كتاب الأنساب.

٢ – أغابزرك: الذريعة إلى تصانيف الشيعة_ الاسترابادي: منهج المقال- الكشي: معرفة الرجال- المجلسي: بحار الأنوار- النوبختي: فرق الشيعة- ألقممي: هدية الأحباب- ابن شهراشوب: معالم العلماء.

٣ – رسائل درزية- ابن حوقل: المسالك والممالك- ابن مرتضى: الفلك الدوار- جعفر بن منصور اليمني: الشواهد والبيان- ناصري خسرو: سفرنامه- القاضي النعمان: افتتاح الدعوة- دعائم الإسلام- رسائل إخوان الصفا- شرف على: رياض الجنان.

٤ – برنارد لويس: أصول الإسماعيلية ص٥١.

٥ – المرجع السابق.

٦ – المرجع السابق ص ٢٨.

٧ – المرجع السابق ص٥٢.

ولا يكتفي برنارد لويس بذلك، بل يصف الطبري مرة أخرى بقوله:"هو أقدم مصادرنا، وإن كان بعيدا عن إدراك مدى الحوادث التي يقصها وإدراك ملابساتها"[1]،والحقيقة أن برنارد لويس في هذا الكتاب لم يعتمد على المصادر السنية في دراسة حركة الإسماعيلية زاعما أن هذه المصادر متحيزة ومتعصبة ضد الإسماعيلية وإن كثيرا من أحكام هذه المصادر خاطئة[2]،ويعتمد على كتب الإسماعيلية أنفسهم اعتمادا كاملا ويؤكد على أهميتها لفهم حركتهم([3])وقد درج برنارد على اللجوء إلى كتابات من سبقه من زملائه أمثال: دي ساسي[4]، ودوزي[5]، ودي خويه[6]، وهمر[7]، وكازانوفا[8].مما يؤكد إصراره على المصادر الاستشراقية فيما يكتب وعدم الاعتداد بما كتبه المؤرخون المسلمون ويدافع عن موقفه هذا بقوله:" بيد أنا علينا أن نتذكر أن جميع الكتب التاريخية ظاهرة في طبيعتها وقد وضعت لجماهير الناس ولا تكشف عن دخائل الفرقة وأسرارها الحقيقية"[9].

---

١ - برنارد لويس: أصول الإسماعيلية ص١٩٢.

٢ - المرجع السابق ١٤٩.

٣ - المرجع السابق ص٢٨.

٤ - دي ساسي(١٧٥٨- ١٨٣٨م) شيخ المستشرقين الفرنسيين سيلفستر دي ساسي من ابرز أعماله: عرض ديانة الدروز وهو عرض شامل لمذهب الدروز(انظر: طبقات المستشرقين ص٥٢).

٥ - رينهرت دوزي(١٨٢٠- ١٨٨٣م) مستشرق هولندي حصل على الدكتوراه عن" أخبار بني عباد عند الكتاب العرب "وله تاريخ المسلمين في أسبانيا(المرجع السابق ص٤٣- ٤٥)

٦ - ميكيل يان دي خويه(١٨٣٦- ١٩٠٩م) مستشرق هولندي أخر له عدة أعمال منها بحث في قرامطة البحرين- بحث في فتح الشام- بحث عن رسالة محمد- صلى الله عليه وسلم (المرجع السابق ص١٢٨).

٧ - جوزيف فون همر يورجشتال(١٧٧٤- ١٨٥٦م) مستشرق نمساوي بارز من أهم أعماله تاريخ الحشاشين(الإسماعيلية) تاريخ الحجفل الذهبي(المغول)(المرجع السابق ص٧٩).

٨ - بول كازانوفا (ت١٩٢٦م) مستشرق فرنسي له ترجمات كثيرة إلى الفرنسية منها كلام ابن خلدون عن البربر- فصول من خطط المقريزي في وصف مصر- كتاب محمد- صلى الله عليه وسلم- ونهاية العالم (المرجع السابق ص١٨٠).

٩ - برنارد لويس: أصول الإسماعيلية ص١٢٨.

وما ذكره عن المصادر في كتابه"أصول الإسماعيلية" طبقه أيضا في كتابه الثاني"الحشيشية" الذي يعد تتمة للكتاب الأول وإن أشاد فيه بكتابات المستشرقين من أمثال سلفستر دي ساسي الذي يعده معلما متميزا في الدراسات حول الحشيشية[1]،وجوزيف فون همر الذي يصف كتابه "تاريخ الحشيشية" بأنه من أوسع هذه الدراسات[2].أما كتابيه"العرب في التاريخ" و"أزمة الإسلام" فإنه لم يذكر فيهما مصدرا أو مرجعا عربيا واحدا اعتمد عليه وإن زعم في كتابه "العرب في التاريخ" أن هذا الكتاب جاء ضمن سلسلة موجهة لجمهور القراء وليس للمتخصصين[3].

ثانيا الوثائق:

من مناهج البحث التاريخي استخدام الوثائق في الكتابة التاريخية، وهذه الوثائق تشتمل على الرسائل والأوراق الحكومية والبيانات الرسمية والخطب وأمثال ذلك من المواد[4].التي تتناول أمور السياسة والحرب والإدارة.

وفي كتابات برنارد لويس نجد أنه لم يعتمد على الوثائق في كتاباته عن التاريخ الإسلامي وإنما كان ينفي وجود مثل هذه الوثائق حيث يقول:"التاريخ الإسلامي يفتقد الوثائق التي أتلفت معظمها ولا يوجد مثل هذه الوثائق إلا في التاريخ الحديث للدولة العثمانية"[5].

ثالثا: الشعر:

اتخذ كثير من المؤرخين الشعر كوسيلة لخدمة التاريخ وجعلوا منه مصدرا من مصادرهم إلا أن برنارد لويس لم يعتمد على هذا المصدر كثيرا في كتاباته فهو أحيانا

---

١ - برنارد لويس: الحشيشية ص١٦٩.

٢ - المرجع السابق ص١٧١.

٣ - برنارد لويس: العرب في التاريخ ص٥.

٤ - فرانز روزنتال: علم التاريخ عند المسلمين ص١٦٧ مكتبة المثنى ببغداد ١٩٦٣م.

٥ - مازن بن صلاح مطبقاني: الاستشراق والاتجاهات الفكرية ص٤٣٣.

يقول:"حفظ لنا شاعر مسلم متأخر قطعا من الأشعار العربية التي نظمت في مدح الملك روجار الثاني"[1]،ولا يورد مثلا لهذه القطع الشعرية أما حينما يريد أن يتخذ من الشعر وسيلة للإساءة إلى الإسلام والمسلمين فإنه يورده كما جاء في كتابه" العرب في التاريخ" حيث يقول" ويتجلى موقف العناصر المعدمة من الإسلام على المذهب السني في بضعة أبيات من الشعر كتبها واحد من شعراء هذا العصر[2]يقول:

تلوم على تركي الصلاة خليتي	فقلت اغربي عن ناظري أنت طالق
فوالله لا صليت لله مفلسا	يصلي له الشيخ الجليل وفائق
لماذا اصلي أين بغيي ومنزلي	وأين خولي والحلي والمناطق؟
اصلي ولا فتر من الأرض يحتوي	عليه يميني؟ إنني لمنافق
بلى إن على الله وسع لم أزل	أصلي له ما لاح في الجو بارق

وهكذا نجد برنارد لويس ينتقي من النصوص الشعرية ما يوافق هواه ويؤيد مزاعمه للوصول إلى تشويه متعمد للحقيقة العلمية فهو لم يذكر من الشاعر الذي ألقى هذه الأبيات؟ وفي أي عصر ألقيت ؟ ليصل إلى استنتاجات مرفوضة مستهجنة أما قوله"العناصر المعدمة من الإسلام" ففيه مغالطة واضحة حيث استخدم"مصطلح الإسلام" حين أراد التعبير عن المسلمين، وشتان مابين المصطلحين في المعنى لكن الغرض هنا واضح يتجلى في تقديم الإسلام من خلال سلوك المسلمين وتصرفاتهم وهو أمر يسهم في الإساءة إلى الإسلام والحد من انتشاره بتعمد إخفاء الحقائق عن الآخرين، ونلمس ذلك في معظم كتاباته.

رابعا: الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف:

يستشهد برنارد لويس بآيات من القرآن الكريم وكذلك الحديث الشريف بما يؤيد وجهة نظره فيما يقول دون إدراك لحقيقة ما جاء في القرآن والحديث، وهي استشهادات

---

١ - برنارد لويس: العرب في التاريخ ص١٦٨.

٢ - المرجع السابق ص١٥١.

مرجعية تدل على عدم التجرد والموضوعية ومن ذلك ما ذكره في كتابه أزمة الإسلام والذي طبع في مصر تحت عنوان"الإسلام وأزمة العصر"عند حديثه عن الجهاد حيث يقول:ومن المهام الأساسية التي أوصى بها النبي المسلمين"الجهاد"أي الكفاح أو القتال[1]،ويرى أن هذه الكلمة تردد ذكرها كثيرا في الآيات القرآنية كما ورد في سورة التوبة قوله تعالى: " قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره، والله لا يهدي القوم الفاسقين "[2].ويورد أيضا قوله تعالى: " يا أيها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة، وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم، أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي، تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم، ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل "[3]،ويخلص من ذلك إلى أن الجهاد يعد التزاما دينيا وهو فرض على الجماعة الإسلامية ككل ويورد قوله تعالى: ((لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا)) [4].

ويرى برنارد لويس أن الجهاد في معظم فترات القرون الأربعة عشر من التاريخ المسجل كان يفسر في الغالب على أنه الكفاح المسلح من أجل الدفاع عن قوة الإسلام أو تقدمه ويرى أن العالم في التراث الإسلامي ينقسم إلى دارين دار الإسلام حيث تتولى الحكم حكومات إسلامية وتسود الشريعة الإسلامية، ودار الحرب وتشمل بقية العالم الذي لا يزال يقطنه الكفار أو يحكموه، وهو يرى أن واجب الجهاد سيستمر إلى أن يعتنق العالم

---

١ - برنارد لويس: الإسلام وأزمة العصر ص٧٣.

٢ - سورة التوبة أية(٢٤).

٣ - سورة الممتحنة آية(١).

٤ - سورة النساء آية(٩٥).

كله العقيدة الإسلامية أو يخضع للحكم الإسلامي ويأتي بقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ))[1]،ويؤكد برنارد لويس على أن التوجيه القرآني للجهاد تعززه وتشرحه الأحاديث والسنة النبوية وكثير منها يتعلق بالحرب مثال قوله- صلى الله عليه وسلم-

- الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة.
- رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه.
- الشهيد لا يجد مس القتل إلا كما يجد أحدكم القرصة يقرصها.
- من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق.
- تعلموا الرماية فمن بلغ بسهم في سبيل الله فهو له درجة في الجنة[2].

والحقيقة أن برنارد لويس حينما أورد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة أراد أن يدعم بها مفهومه هو للجهاد حيث يعده عدوانا مسلحا على كل من يعتنق دينا غير الإسلام.

---

١ - سورة التحريم آية(٩).

٢ - وردت هذه الأحاديث ص٧٥ من كتاب الإسلام وأزمة العصر.

المبحث الخامس

النقد التاريخي عند برنارد لويس:

يرى برنارد لويس أن المؤرخين يشتركون معا في كتاباتهم من ناحية الالتزام بالعدل والدقة والبحث عن الحقيقة، وأن المنهج المتبع في دراسة التاريخ الإسلامي هو نفسه المتبع في دراسة التاريخ النصراني أو اليهودي أو أي تاريخ آخر، فلا يستخدم المؤرخ منهجا لدراسة تاريخه ومنهجا آخر لدراسة تاريخك، ومنهجا ثالثا لتاريخ شخص آخر لأن ذلك خيانة فكرية، فإن الشخص الذي يستخدم معايير معينة لدراسة ثقافته ودينه، ويستخدم معايير أخرى لدراسة ثقافة شخص أخر ودينه لا يكون باحثا أو عالما إنما هو متعصب[1].

وهكذا بين برنارد لويس ما يجب على الباحث أو المؤرخ الالتزام به لكنه لم يلتزم بما ذكره ويتضح ذلك فيما يلي:

فهو حينما يتحدث عن الطبري في تاريخه يقول"هو أقدم مصادرنا وإن كان بعيدا عن إدراك مدى الحوادث التي يقصها وإدراك ملابساتها"[2].

وهجومه على الطبري وغيره من مؤرخينا نابع من محاولته هدم تراثنا التاريخي وهو يدرك أن المصادر الإسلامية التي كتبها المؤرخون المسلمون تمتلئ بذخيرة ضخمة من الأخبار والوقائع والروايات، وكان أولئك المؤرخون يلتزمون الأمانة العلمية فيثبتون كل ما وصل إلى علمهم من معلومات، وإن تعددت الروايات وتناقضت ولكنهم تركوا ذلك كله بغير تمحيص بدافع الأمانة العلمية الخالصة، ولكيلا يتدخلوا من عند أنفسهم بتغليب خبر على خبر ورواية على رواية بنفي أو إثبات أو ترجيح أو تضعيف ولذلك يقول الطبري في مقدمة كتابه:" فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين بما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه من اجل أنه لم يعرف له وجها في الصحة ولا معنى في الحقيقة فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا وإنما أتى من قبل ناقليه إلينا، وإنما أدينا ذلك نحو ما أدي إلينا"[3].

---

١ - مازن بن صلاح مطبقاني: الاستشراق والاتجاهات الفكرية ص٤٢٢-٤٢٣.

٢ - برنارد لويس: أصول الإسماعيلية ص١٩٢.

٣ - الطبري: تاريخ الطبري ج١ص٨ ط٤ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- دار المعارف بمصر.

ويكثر في كتابات برنارد التعبير عن الحقائق التاريخية والدينية بصيغ الشك مثال قوله"وقد أبقى لنا المؤرخون العرب وثيقة لا يزال أصل معظمها موضع شك تبين لنا نواة دستور الجماعة المدنية الأولى"[١].

وقوله عن الرسول- صلى الله عليه وسلم- "وتقول الأخبار الإسلامية إنه كان لا يقرأ ولا يكتب، وقد يكون الأمر هكذا وقد لا يكون"[٢].

وقوله:"ويورد البغدادي العالم الديني وثيقة زعم أنها إسماعيلية"[٣]،وهكذا يمضي برنارد لويس في شكوكه إلى مدى بعيد حتى يصل إلى التشكيك في نشأة الرسول- صلى الله عليه وسلم- المبكرة حيث يقول: ولا يعرف إلا القليل عن نسب محمد- صلى الله عليه وسلم- وأوائل حياته، بل إن هذا القليل أخذ يتناقص شيئا فشيئا كلما تقدم البحث الأوربي، وأثار شبهة بعد أخرى حول المادة المضمنة في الأخبار الإسلامية[٤]،وبرنارد هنا ينهج نهج غيره من المستشرقين الذين يتحاملون على الإسلام ويغفلون الحقائق التاريخية الواضحة، ويصر على اللجوء إلى كتابات من سبقوه وكأنها المصادر الأصلية، وما ذكره عن حياة الرسول- صلى الله عليه وسلم- ذكره من قبل المستشرق الألماني كارل بروكلمان[٥].الذي يقول:"ولسنا نملك بنية موثوقا بها عن حياة النبي الأولى إلا هذه الآيات القرآنية من سورة الضحى (٦٣/٦-١١).

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى(٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ(٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ(١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ(١١) ﴾

والحقيقة لا يوجد سبب يدعو برنارد لويس وغيره من المستشرقين إلى القول المغاير للحقيقة والعلم إلا العداء للإسلام، لأنهم أجازوا لأنفسهم أن يقولوا بأنهم لا يعرفون شيئا

---

١ - برنارد لويس: العرب في التاريخ ص٥٥.

٢ - المرجع السابق ص٥٠.

٣ - المرجع السابق ص١٥٢.

٤ - المرجع السابق ص٤٩.

٥ - كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ص٣٣ دار العلم للملايين- بيروت.

عن حياة النبي الأولى، فكيف يجهلونها وهم يعلمون كما يعلم كل إنسان أتيح له شئ من الثقافة والدراسة التاريخية أنه لم تعرف ترجمة لحياة إنسان في التاريخ كما عرفت حياة الرسول- صلى الله عليه وسلم- لأنه لم يكن من أسرة مجهولة أو مغمورة[1]كما أن القرآن وكتب الحديث والسير والمغازي وكتب التاريخ المطولة، كلها تحدثت عن شبابه كيف قضاه وعن حياته الأولى، فهل كل هذه المصادر وما جاء بها من معلومات غير موثوق بها؟وأقوال برنارد لويس ومن نهج نهجه من المغرضين هي السليمة والخالية من الكذب والتزييف[2]،وما ذكره برنارد لويس عن حياة النبي الأولى-صلى الله عليه وسلم- يعد من المآخذ المنهجية على كتابات وأبحاث بعض المستشرقين حيث يتوارثون آراء معينة ينقلها أحدهم عن الآخر دون مراجعة أو تدقيق خاصة تلك المسائل التي لها علاقة بالقرآن أو النبي- صلى الله عليه وسلم- أو السنة أو غيرها مما له صلة به[3]،ويهاجم برنارد المؤرخين وكتاب السير مبينا أنه لا يعتد برواياتهم حيث يقول:"والمؤرخين وكتاب السير مثل كتاب الروايات يعرضون كتاباتهم في سلسلة من الأحداث مرتبطة ارتباطا واهيا، وكثيرا ما تعدو-كما وصفها كاتب حديث العهد-كما لو كانت أوصافا في جواز سفر"[4].

ولعل برنارد يقصد بالمؤرخين وكتاب السير ما سجله المسلمون في السيرة والمغازي وهو هنا يغفل ما قام به كتاب السيرة والمغازي حيث قدموا لنا السيرة ممزوجة بالتاريخ، وقدموا لنا كلام الرسول- صلى الله عليه وسلم- موثقا أعظم توثيق، بل إن هذا التوثيق لم يتوافر لكتب يزعم أصحابها أنها مقدسة، لذا كانوا يختلفون على الكلمة ويروونها بالروايات المختلفة التي وردت بها، ولم يسمحوا لأنفسهم بأدنى تغيير أو استعمال الأسلوب

---

١ - شوقي خليل: الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين ط ١٤١٩هـ/١٩٩٨- دار الفكر المعاصر- بيروت، ص٤٢.

٢ - غيثان بن علي جريس: افتراءات المستشرق كارل بروكلمان على السيرة النبوية جده ط ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص٢٠.

٣ - محمد فتح الله الزيادي: منهج البحث الاستشراقي في الدراسات الإسلامية ص١٢٠.

٤ - برنارد لويس: تاريخ العرب ص٢٠٣.

الخاص أو الإيراد بالمعنى كما كتبت عدة كتب مقدسة بأقلام تلامذة صاغوها بأسلوبهم الخاص، أما كتاب السير والمغازي من مؤرخينا فقد كان"السند"و"الناقل"- بين التعديل والتجريح هما الركيزة التي اعتمدوا عليها في نقل السيرة والمغازي فجاءت أعمالهم حقائق صادقة بعيدة عن الهوى مما يجعلنا نقول إن مؤرخينا كانوا يقفون على أرض صلبة من الأصول الثابتة والحقائق الموثقة[1]،وهو يرى أن لفظة حشيشي التي أطلقت على الباطنية غير صحيحة وان هذه التسمية كانت تعبيرا عن الازدراء للاعتقادات الطائشة والمغالاة في السلوك لرجال الطائفة، وأنها جاءت بمثابة تعليق ساخر على تصرفاتهم، ولم تكن وصفا لممارستهم ويؤيد رأيه بالقول إن الكتاب الإسماعيلية لم يشيروا إلى استخدام رجال الباطنية للمخدر[2]، وهو رأي غير صائب لأنه من الطبيعي ألا يشهد أو يعترف الكتاب الإسماعيليين بذلك، وتتضح النزعة اليهودية على مجمل كتابات برنارد لويس الذي يستخدم أسلوب التعميم في نقده التاريخي حيث يذكر الرأي دون إيراد شواهد أو أدلة علمية ولا يذكر المصادر أو المراجع التي اعتمد عليها، بل يكتفي بقوله: يذكر بعض العلماء، وقال ذلك بعض الباحثين أو المتأخرين دون أن يشير إلى نماذج منهم.

ومثل هذا المنهج يفقد صفة العلمية لأنه يفقد الدقة واليقين ويميل إلى المراوغة وكثيرا ما نجد هذا الأسلوب عند حديثه عن اليهود في الدولة الإسلامية فهو حينما يتحدث عن الفتنة في زمن الخليفة عثمان بن عفان ودور اليهودي عبد الله بن سبأ فيها نجده يقول: إن المؤامرة والدعوة المنسوبتين إلى ابن سبأ من اختلاق المتأخرين[3]،ولم يذكر لنا من هم المتأخرون؟ أو كيف توصل إلى نفي هذا الخبر؟ وما أدلته على ذلك؟

وحينما يتحدث عن الفاطميين في كتابه"أصول الإسماعيلية" تحت عنوان (الأسطورة اليهودية)يقول: قبل أن نفرغ من هذا الموضوع يحسن بنا أن نتطرق إلى وجه أخر ذي صلة وعلاقة به وهو محاولة جماعة من المؤرخين السنة أن يجعلوا للخلفاء الفاطميين

---

[1] - عبد الحليم عويس: تفسير التاريخ علم إسلامي دار الصحوة للنشر ١٤٠٧هـ، ص١٠.

[2] - برنارد لويس: الحشيشية ص١٧٠-١٧١.

[3] - برنارد لويس: أصول الإسماعيلية ص٨٧.

أصلا يهوديا[١]،ولا يذكر من هؤلاء المؤرخون؟ بل يعتمد رأي مستشرق يهودي أخر هو جولد تسيهر ويقول عنه: لقد لاحظ جولد تسيهر ميلا عاما للنسابين المسلمين ينسبون فيه أصلا يهوديا لأولئك الذين يكرهونهم لسبب ما وعلى هذا فلا يصح أن يكون لافتراضات المؤرخين المسلمين أساس تاريخي حقيقي، وإنما هي محاولة للحد من العائلة، ولم تكن لتفاصيلها أهمية، ولكن الشئ الجوهري فيها هو اتهام الفاطميين بأنهم من اليهود[٢].

ويدعم برنارد رؤية جولد تسيهر بقوله: ويسهل علينا فهم وجهة النظر هذه إذا عرفنا مكانة اليهود غير المعتادة التي تمتعوا بها في عهد الخلافة الفاطمية مما سبب لليهود موجة من الكراهية والتعصب ظهرت بأشكال مختلفة[٣].

وبرنارد لويس هنا يحاول الوصول إلى تشويه متعمد للحقيقة ولذلك لم يذكر مصادره التي اعتمد عليها عند حديثه عن اليهود وإنما لجأ إلى مستشرق يهودي مثله وأخذ برأيه دون مراجعة أو تدقيق.

وهو عندما يتحدث عن الفتوحات الإسلامية يصفها بأنها كانت غارات غرضها النهب لا الفتح[٤]،وأنها لم تكن توسعا للإسلام، بل للأمة العربية التي دفعها ازدحام السكان في موطنها الأصلي إلى البحث عن مخرج في البلاد المجاورة[٥]،ويزعم أن القوة الدافعة للفتوح كانت دنيوية أكثر منها دينية[٦]،والحقيقة إن قول برنارد هنا مجاف للحقيقة العلمية المجردة فحركة الفتح الإسلامي كانت حركة فريدة ومميزة في التاريخ ولا يمكن مقارنتها بأية حركة توسعية في تاريخ الأمم الأخرى لاختلافها عنها في الجوهر والهدف، بل والآثار المترتبة عليها فالحركات الإمبراطورية سواء قديما أو حديثا كانت تهدف إلى التوسع في الأرض وفي السلطان، واستعباد الأقوياء للضعفاء، ونهب خيرات البلاد

---

١ - المرجع السابق ص١٥٣.

٢ - المرجع السابق ص١٥٥.

٣ - المرجع السابق ص١٥٦.

٤ - برنارد لويس: تاريخ العرب ص٧٠.

٥ - المرجع السابق ص٧٥.

٦ - المرجع السابق ص٧٦.

المفتوحة لحساب الدولة الغازية التي تقوم بازلال البشر المغلوبين على أمـــرهم وإهانـــة كرامتهم أما حركة الفتوحات الإسلامية فقد كانت تكليفا إلهيا لهذه الأمة لنشـــر ديـــن الله وليست هوى ذاتيا أو شهوة بشرية هدفها المغنم أو المكسب المادي[1].لقد عاش العرب في باديتهم المقفرة مئات السنين وهم يعرفون الخيرات في الشمال، فلماذا لـــم ينطلـــق أهـــل الحجاز إلى هذه المواقع الخصبة من قبل، ولم يكن المسلمون الذين خرجوا للفتوحات أكثر من مائة ألف لو ضاعفنا العدد لكان يكفيهم سواد العراق وحده أو فلسطين وحدها أو الشام وحدها أو دلتا مصر وحدها ويصبحون أهل رغد وثروة ويمكثون لينعموا بما فتحوا لكنهم انطلقوا إلى الصين والى أسبانيا يتممون رسالتهم لنشر دين الله[2].كما أن تاريخهم برئ من أي حادثة ضغط أو اضطهاد على إنسان لإجباره على اعتناق الإسلام ومما يؤكد قولنا ما ذكره برنارد نفسه حينما بين أن سكان مصر وسوريا من المسيحيين قد فضـــلوا الحكـــم الإسلامي على حكم البيزنطيين أصحاب العقيدة الراشدة- كما يزعم[3].

---

١ - محمد قطب: كيف نكتب التاريخ الإسلامي دار الوطن للنشر بالرياض طبعة ١٤١٢هـ، ص٢٧.

٢ - شوقي أبو خليل: الإسقاط في مناهج المستشرقين ص١٨٢- ١٨٣.

٣ - برنارد لويس:تاريخ العرب ص٧٨.

الخاتمة

دار هذا البحث حول المستشرق برنارد لويس ومنهجه في دراسة التاريخ الإسلامي، والحديث عن برنارد لويس يستمد أهمية من سببين اثنين أولهما اهتمامه الشديد بدراسة المراحل التاريخية والحقب السياسية, بل وحتى الظواهر الاجتماعية التي عرفتها بعض مناطق العالم الإسلامي, وثانيهما ما يحظى به هذا الرجل من مكانة وحظوة في الدوائر الأكاديمية المهتمة بما جرى ويجري في ديار الإسلام, لأن هذا المستشرق يمتلك مقومات المثقف والمؤرخ الذي يجيد الإلمام بالتاريخ منهجا ومحتوى وهو يدرك تمام الإدراك ماذا يقول ويكتب؟وماذا يقصد بما قاله وكتبه؟مما يستدعي بالضرورة إضفاء صفة العمد على كتاباته.

وقد بيّن البحث منذ البداية أن برنارد لويس ولد في لندن عاصمة بريطانيا لعائلة يهودية اتجهت إلى بريطانيا في أوائل الثلاثينات, وأنه عُيِّن في مدرسة الدراسات الشرقية عقب حصوله على الدكتوراه, ثم أعيرت خدماته إلى الخارجية البريطانية في أثناء الحرب العالمية الثانية, ولما عاد إلى الجامعة لم تنقطع صلته بالمخابرات البريطانية, وظل مصدرا مهما يتم الرجوع إليه طلبا للمشورة فيما يختص بشئون الشرق الأوسط.

كما بين البحث أن هذا المستشرق قد انتقل من جامعة لندن في الثمانينات, وتوجه إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث عمل في جامعة برنستون وصار مواطنا أمريكيا بعد حصوله على الجنسية الأمريكية.

وذكر البحث أن برنارد لويس قد نشر عددا كبيرا من الكتب التاريخية عن العرب والمسلمين وهذه الكتب تفصح عن علم واسع وإنكباب طويل على المصادر التاريخية وان كان لويس متأثرا بيهوديته فكتاباته تظهر خلفيته اليهودية وعمق تأثيرها فيه حيث تغلب عليه النظرة اليهودية التي جعلته يوجه تخصصه في التاريخ الإسلامي لخدمة الدراسات اليهودية وقد بين البحث أن من أبرز كتب هذا المستشرق كتاب أصول الإسماعيلية وهو بحث تاريخي في نشأة الخلافة الفاطمية ثم كتاب الحشاشون فرقة

متطرفة في الإسلام ويعد متمما لكتابه أصول الإسماعيلية, وكتاب العرب في التاريخ, وسلسلة كامبردج للتاريخ الإسلامي, وكتاب الإسلام في التاريخ ثم كتاب أزمة الإسلام.

وقد أوضح البحث أن برنارد لويس لم يلتزم في كتاباته بقواعد المنهج العلمي من مراعاة الحقائق وفحصها وتحليلها وجمع الشواهد التي تؤيد أو تعارض القضية موضوع البحث, فهو لا يختار من الحقائق والمعلومات والبيانات إلا ما يؤيد وجهة نظره, فمعظم ما كتبه من الناحية المنهجية بعيد عن الأمانة العلمية الواجبة وملون تلوينا خاصة لتحقيق هدف معين تكنه صدور لا تحب الخير لأمتنا الإسلامية وتاريخها العميق.

وأكد البحث أن هذا المستشرق قد سار على خطى سابقيه من المستشرقين الأوائل واعتمد اعتمادا كبيرا على آرائهم ونقلها عنهم دون مراجعة أو تدقيق في الوقت الذي يهمل فيه كتابات المؤرخين والباحثين المسلمين.

وبين البحث أن برنارد لويس لم يلتزم بالموضوعية العلمية في دراسته للتاريخ الإسلامي ابتداء من السيرة النبوية الشريفة حيث اتبع نهج أصحابه من ناحية التشكيك في السيرة العطرة, وهاجم صراحة المؤرخين وكتاب السير مبينا أنه لا يعتد برواياتهم وأنها في معظمها خاطئة.

وقد أوضح البحث أنه في كتابيه"العرب في التاريخ"و"أزمة الإسلام"لم يذكر مصدرا أو مرجعا عربيا واحدا اعتمد عليه واعتمد على كتب المستشرقين وأشاد بها وبين البحث أن برنارد لويس في بعض كتبه الأخرى قام باستغلال الروايات الضعيفة التي وردت في بعض المصادر الإسلامية دون تمحيص وجعلها الأصل وأهمل الروايات الأخرى وإن تواترت بزعم الأمانة العلمية والنقل عن المصادر الموثوقة.

وأوضح البحث أن كتابات برنارد لويس قد ركزت على التاريخ السياسي للمسلمين بعد فترة البعثة وصدر الإسلام وجردت التاريخ الإسلامي من محتواه الشامل وحصرته في النزاعات السياسية وما صحب ذلك من مؤامرات الاغتيال والقتل والفتك بالأعداء السياسيين, وإظهار الحركات الهدامة كالباطنية والقرامطة وإبرازها على أنها تمثل حركات الحرية والديموقراطية.

وبين البحث أن برنارد لويس في حديثه عن المصادر في كتابه"أصول الإسـماعيلية" يميل إلى الاعتماد على كتب الشيعة وبخاصة الفرقة الإسماعيلية ويرى أن ما أوردته كتب التاريخ السنية من معلومات عن الشيعة لم يكن دقيقا وأن كثيرا من أحكام هذه المصـادر خاطئة

وأوضح البحث أن برنارد لويس لم يعتمد على الوثائق في كتاباتـه عـن التـاريخ الإسلامي وإنما كان ينفي وجود مثل هذه الوثائق, كما أنه اتخذ من الشعر وسيلة للإسـاءة إلى الإسلام والمسلمين وتشويه الحقيقة العلمية.

وبَّين البحث أن هذا المستشرق كان يستشهد بآيات من القران الكريم وكذلك الحديث الشريف بما يؤيد وجهة نظره هو دون إدراك لحقيقة ما جاء فيهمـا وهـي استشـهادات مرجعية تدل على عدم التجرد والموضوعية.

وأكد البحث على أن برنارد لويس كان يكثر في كتاباته التعبير عـن الحقـائق التاريخيـة والدينية بصيغ الشك وأنه استخدم أسلوب التعميم في نقده التاريخي فكان يذكر الرأي دون إيـراد شواهد أو أدلة وفي معظم الأحيان لا يذكر المصادر والمراجع التي اعتمد عليها.

وبين البحث أن هذا المستشرق كان يختار النصوص التاريخية وينتقي الروايـات والشواهد والوقائع التي توافق هواه وتؤيد مزاعمه منتحلا لها مختلف الإحالات والمؤيدات الوهمية فكان في معظم كتاباته عن التاريخ الإسلامي الكثير من الاستنتاجات التي جانبت الصواب، ولم تلتزم الحياد العلمي الدقيق.

ملحق لأبرز كتابات برنارد لويس

1) The Arabs in History (London) First published 1950, Reprinted 1954, 1956. Second edition 1958. Reprinted 1960, 1962, Third edition 1964, Fourth edition 1966. Reprinted 1975, 1977, 1981, and 1984.

2) The Assassins: A Radical sect in Islam (London 1967).

3)"The Assassins" London Mediaeval Society.

4) The Crisis of Islam: Holy war and Unholy Terror (New Yourk: Random House Trade Paper Backs, 2003.

5)"Crusade vs. Jahad" The wall street journal, Sep. 2001.

6) Islam in History, London: Alcov press 1973.

7) The Jews of Islam (Princeton University press 1984).

8) The Muslim Discovery of Europe. New Yourk, W.W Norton, 1982.

9) The Origins of Ismailism. A study of the Caliphate. Cambridge 1940.

10) Political Language of Islam. Chicago and London (The University of Chicago press 1988)

11) The Revolt of Islam. The New Yourker. October 2001.

12)"The Roots of Muslim Rage" Atlantic Monthly. Sep.1990.

13)"Saladin and the Assassins" in Buletin of the school of oriental and African studies 15, 1952.

14) The Sources of the History of the Syrian Assassins, in Speculum 17(1952).

15) What went wrong? Western Impact and Middle Eastern Response (Oxford University press 2002).

المصادر والمراجع

١- الاستشراق الأمريكي والعودة لتفسير الإسلام- ناصر عبد الرزاق الملا جاسم، مقال مجلة الحوار- عدد ٤ ١سبتمبر(أيلول)٢٠٠٣م كلية الآداب- قسم التاريخ-جامعة الموصل.

٢- الاستشراق- أهدافه ووسائله- محمد فتح الله الزيادي-دار قتيبة للطباعة والنشر- دمشق- بيروت الطبعة الثانية ٢٠٠٢م.

٣- الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي- أحمد عبد الرحيم السايح-الدار المصرية اللبنانية- القاهرة- الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٤- الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام- مازن بن صلاح مطبقاني- دار اشبيليا للنشر والتوزيع بالرياض – بدون تاريخ.

٥- الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي – دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس- مازن بن صلاح مطبقاني- الرياض ١٤١٦هـ/١٩٩٥م. الاستشراق وأثره على الثقافة العربية- محمد إبراهيم حسن- مقال في مجلة رسالة الخليج العربي- العدد الثالث والعشرون-السنة الثامنة.

٦- الاستشراق والدراسات الإسلامية- عبد القهار داود عبد الله العاني- دار الفرقان للنشر والتوزيع- عمان الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٧- الاستشراق والدراسات الإسلامية- مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم- علي بن إبراهيم الحمد النملة- مكتبة التوبة- الرياض- الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٨- الاستشراق والمستشرقون(مالهم وما عليهم)مصطفى السباعي- الطبعة الأولى-دار الوراق للنشر والتوزيع- بيروت ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٩- الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين- شوقي خليل- دار الفكر المعاصر- بيروت ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

١٠- الإسلام وأزمة العصر (أزمة الإسلام) برنارد لويس- ترجمة أحمد هيكل- تقديم ودراسة رءوف عباس- مكتبة الأسرة ٢٠٠٤م.
١١- أصول الإسماعيلية- بحث تاريخي في نشأة الخلافة الفاطمية- برنارد لويس- ترجمة خليل أحمد جلو- جاسم محمد الرجب- تقديم عبد العزيز الدوري- منشورات مكتبة المثنى- بغداد ١٩٤٧م.
١٢- الأعلام- خير الدين الزركلي- بيروت- الطبعة الثالثة ١٩٩٧م.
١٣- افتراءات المستشرق كارل بروكلمان على السيرة النبوية- غيثان بن علي جريس- جدة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
١٤- برنارد لويس- بطريرك الاستشراق- أبو زيد عمر- مقال في مجلة العصر- عدد ٢٠٠٥/١١/٢٧م.
١٥- تاريخ الرسل والملوك- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- الطبعة الرابعة- دار المعارف بمصر.
١٦- تاريخ الشعوب الإسلامية- كارل بروكلمان- ترجمة نبيه أمين فارس- منير البعلبكي- دار العلم للملايين- بيروت- الطبعة التاسعة ١٩٨١م.
١٧- التاريخ العربي والمؤرخون- شاكر مصطفى- ج١ الطبعة الثالثة- دار العلم للملايين- بيروت ١٩٨٣م.
١٨- تفسير التاريخ- عبد الحليم عويس- دار الصحوة للنشر ١٤٠٧هـ.
١٩- الحشيشية- الاغتيال الطقوسي عند الإسماعيلية النزارية- برنارد لويس- ترجمة سهيل زكار- دار قتيبة- دمشق ٢٠٠٤م.
٢٠- الدراسات العربية والإسلامية في أوربا- ميشال حجا- معهد الإنماء العربي- بيروت- بدون تاريخ.
٢١- السيرة الذاتية لبرنارد لويس- خليل الصغير- مقال في مجلة مدارات غربية- العدد الرابع ٢٦ديسمبر ٢٠٠٤م.

٢٢- طبقات المستشرقين- عبد الحميد صالح حمدان- مكتبة مدبولي- القاهرة- بدون تاريخ.
٢٣- العرب في التاريخ- برنارد لويس- ترجمة نبيه أمين فارس- محمود يوسف زايد- الطبعة الأولى- دار العلم للملايين- بيروت ١٩٥٤م.
٢٤- العقيدة والشريعة في الإسلام- جولد تسيهر- ترجمة محمد يوسف موسى وأخر- القاهرة ١٩٤٨م.
٢٥- علم التاريخ عند المسلمين- فرانز روزنتال-ترجمة مكتبة المثنى- بغداد ١٩٦٣.
٢٦- علم التاريخ ومناهجه- إسماعيل أحمد ياغي- الطبعة الأولى ٢٠٠٣م- مكتبة الرشد- الرياض.
٢٧- كيف نكتب التاريخ الإسلامي- محمد قطب- دار الوطن للنشر بالرياض ١٤١٢هـ.
٢٨- لمحات في الثقافة الإسلامية- عمر عودة الخطيب- مؤسسة الرسالة- بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
٢٩- "مسألة الاستشراق"في الاستشراق بين دعاته ومعارضيه- برنارد لويس- إعداد هاشم صالح- لندن- دار الساقي ١٩٩٤م.
٣٠- المستشرقون ومشكلات الحضارة- عفاف صبره- دار النهضة العربية للطبع والنشر والتوزيع ١٩٨٥م.
٣١- مقالات وبحوث حول الاستشراق والمستشرقون- أبو الحسن الندوي- إعداد سيد عبد الماجد الغوري- دار ابن كثير للنشر والتوزيع- الطبعة الاولى١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
٣٢- مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب- محمد البشير مغلي- مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض- الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
٣٣- منهج البحث التاريخي-حسن عثمان-الطبعة الرابعة-دار المعارف بمصر-بدون تاريخ.

المراجع الأجنبية

34- Annenberg Research Institue for Judaic and near Eastern Studies: statement of Purpose, in the Jewish Quarterly Review. Vol. lxx II. No. I, July 1986.

35-The Cambridge History of Islam. 2vols in4 Cambridge. Cambridge University press1970.

36-Fritz Lanham, Review of Lewis, "What went wrong" Chronicle book magazine, 19 January 2002.

37-Lamis Andoni, "In the service of empire" AL-Ahram weekly, Cairo, 12-16-Desember 2002.

38-Wall street journal-January 11, 2002.

المحتويات

تمت

